الجامعة اللبنانية

كلية الحقوق والعلوم السّياسية والإدارية والاقتصادية

العلاقات الروسية السورية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي (بين المصالح المتبادلة والشراكة الاستراتيجية)

رسالة أعدّت لنيل شهادة الدبلوم في الدراسات العليا

إشراف

الدكتور خليل حسين

إعداد

إبراهيم شرقاوي

٢٠١٩

مقدمة

تعود الجذور التاريخية للاهتمام الروسي (القيصري–السوفياتي–الروسي الاتحادي) بمنطقة الشرق الاوسط ومحاولات مد النفوذ اليها، الى أيام الحكم القيصري الروسي، الذي امتلك رغبة شديدة في الوصول بأية وسيلة الى المياه الدافئة، حيث طريق الهند وافريقيا، وقد تأثرت السياسة الروسية الى حد كبير بواقعها الجغرافي، وهذه الحقيقة الجيوبوليتيكية للكيان الروسي هي من أهم العوامل التي دفعت روسيا الى الاهتمام بهذه المنطقة في وقت مبكر على الرغم من اتساع مساحتها الجغرافية، ذلك أن معظم حدودها إما تطل على بحار متجمدة لا تصلح للملاحة وإما تطل على بحار ومضائق تقع تحت سيطرة دول أخرى.

إن البحر الأبيض المتوسط هو قلب هذه المياه الدافئة ومركزها، لذلك كان لا بد ممن يريد التواجد في هذه المياه، ترتيب علاقاته مع الدول المطلة عليه، سيما الدول العربية منها، نظرا" للأهمية الجغرافية والسياسية لبعض تلك الدول، وتأثيرها المباشر على حركة الملاحة فيه.

يمكن رصد حركة العلاقات الروسية – العربية وتبويبها من عدة اتجاهات، أهمها شراكة اقتصادية وتقنية وتجارية وتعاون في مجال الطاقة، ومضاعفة الصادرات الروسية الى البلدان العربية والتعاون التقني وتفعيل دور روسيا التنموي في دول المنطقة، وزيادة صادرات السلاح، وكسر احتكار دول الغرب له، إضافة الى نسج علاقات استراتيجية مع بعضها.

لقد كانت سوريا على الدوام، مركزا لصراع الدول الكبرى، وقد تمدّدت اليها الحرب الباردة فور انقسام اوروبا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وحصل الصراع على سوريا بين الشرق والغرب بعد قيام حلف بغداد في العام ١٩٥٤، ولقد نسج الاتحاد السوفياتي أمتن العلاقات مع الجمهورية العربية السورية، حتى انهيار الاتحاد السوفياتي وقد شهدت تراجعاً ضئيلاً بعد انهياره، إلا أنها عادت لتتمكن في عهد الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، حتى بات يمكن وصفها بالاستراتيجية والمصيرية مع اندلاع الأزمة السورية في العام ٢٠١١.

تعتبر موسكو أن سوريا هي مفتاح المنطقة، وهذه الاعتبارات قد تكون خلف قناعة روسيا الراسخة بأن القضية السورية هي فرصتها الوحيدة لإستعادة دورها الاقليمي في الشرق الاوسط، كما أن لروسيا مصالح اقتصادية كبيرة في سوريا، التي تعتبر أكبر دول المنطقة شراءً للأسلحة من روسيا، إضافة

الى وجود قاعدة بحرية روسية في طرطوس، والتي تعتبر الميناء الوحيد للأسطول الروسي في المتوسط، كما أن سوريا ومن خلفها إيران هي حليف استراتيجي لروسيا في المنطقة، فضلا عن رغبة روسيا في استغلال الأزمة من أجل أن تضع نفسها في وضع مؤثر في الاحداث الدولية.

وبعد اندلاع الأزمة السورية، ضغطت روسيا على النظام لإجراء اصلاحات كان من بينها الغاء المادة ٨ من الدستور، والتي تنص على أن البعث هو قائد الدولة والمجتمع وغيرها، اضافة الى اصلاحات اخرى...

كل ذلك، اعتبر محاولات روسية لتخفيف الخسائر التي تكبدتها مع العرب جراء موقفها الداعم للنظام الحاكم ولم تنجح، فالقرار بالمنازلة مع الغرب اتخذه الرئيس الروسي، وكشف الإعلام الروسي ما يخفيه حكام روسيا الجدد وهو أن لا تنازل عن سوريا، لأن خسارتها تعني خسارة آخر معاقل العظمة السوفياتية في الشرق الأوسط، كما أن الرئيس بوتين لا يخفي إعجابه بهذا التاريخ ويتطلع لاستعادته.

ويعتبر الموقف الروسي من الأزمة السورية، إحدى القضايا التي ستمثل تحدّياً امام صورة روسيا الدولية في المرحلة القادمة، ذلك أن الموقف الروسي من تلك الأزمة، أثار حفيظة المجتمع الدولي الذي يرى أن روسيا تدعم نظام الرئيس السوري بشار الاسد بهدف الحفاظ على مصالحها الاستراتيجية هناك، كما يعتبر التدخل الروسي المباشر في الأزمة السورية من العوامل المؤثرة بشكل فاعل في رسم معالم مستقبل المنطقة العربية، بل يتعداه الى رسم معالم النظام العالمي المستقبلي.

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث من تناوله موضوعاً دقيقاً ومثيراً للجدل، هو العلاقات الروسية السورية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وحتى التدخل الروسي المباشر في الازمة السورية، وهو من المواضيع الجديرة بالبحث لأثرها الكبير في رسم معالم مستقبل المنطقة، إضافة الى معالم النظام العالمي الجديد.

كما يشار إلى أن موضوع العلاقات الروسية – السورية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، بين المصالح المتبادلة والشراكة الاستراتيجية، هو موضوع لم يتناول من قبل في الابحاث على مستوى الدراسات العليا، سواءً الماجستير أو الدكتوراه في الجامعة اللبنانية، وهو من حيث العنوان والمحتوى وطريقة المقاربة يتناول للمرة الاولى في جامعتنا الكريمة.

إشكالية البحث:

تنطلق إشكالية البحث الأساسية من أهداف وخلفيات التمسك الروسي بإقامة شراكة استراتيجية مع النظام السوري بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، ومدى قدرة سوريا على تأمين المتطلبات الروسية في هذا المجال، بخاصة مع إندلاع الأزمة السورية في العام ٢٠١١، إضافة إلى انعكاسات التدخل الروسي العسكري المباشر على الوضع في المنطقة عموما وسوريا خصوصاً.

فرضية البحث:

لقد نسجت روسيا أفضل العلاقات مع الجمهورية العربية السورية قبل انهيار الاتحاد السوفياتي، وحافظت عليها بعد انهياره، وعملت على تمتينها في عهد الرئيس بوتين، حيث باتت توصف بالاستراتيجية، لما تمثله سوريا والتواجد الروسي فيها، من أهمية لروسيا الاتحادية في مجال تحصين أمنها القومي والاستراتيجي، لذلك فهل من المتوقع أن تذهب روسيا بعيدا في دعم النظام الحالي الحاكم ومنع سقوطه والاحتفاظ بتواجد كبير لها على الاراضي السورية، وفرض نفسها كلاعب أساسي في رسم معالم مستقبل المنطقة، والنظام العالمي.

منهج البحث:

بما أن البحث يتناول موضوع العلاقات بين دولة عظمى هي روسيا، واخرى من دول العالم الثالث، ومدى تأثير هذه العلاقة على مستقبل المنطقة العربية خاصة بعد اندلاع الأزمة السورية الأخيرة، لذلك سيصار الى اعتماد المنهج المقارن لمقاربة حجم وابعاد وعمق هذه العلاقة، اضافة الى المنهج التحليلي لاستشراف مستقبل ومآلات هذه العلاقة الاستراتيجية بين الطرفين، وأثرها على مستقبل الأزمة السورية، ومعالم مستقبل المنطقة العربية والنظام العالمي.

مخطط البحث

سيتم اعتماد التقسيم الثنائي في معالجة وكتابة الرسالة، لذا ستقسم الرسالة إلى فصلين، يسبقهما مقدمة، وخاتمة تتضمن أبرز الاستنتاجات:

الفصل الأول: العلاقات الروسية العربية– والروسية الشرق أوسطية.

المبحث الاول: العلاقات الروسية العربية.

المبحث الثاني: العلاقات الروسية مع بعض دول الاقليم(تركيا، ايران، اسرائيل)

المبحث الثالث: العلاقات الروسية السورية(السوفياتية والروسية).

الفصل الثاني: التدخل الروسي المباشر في الأزمة السورية والقضايا الدولية المرتبطة.

المبحث الاول: واقع وخلفيات التدخل الروسي المباشر في الازمة السورية.

المبحث الثاني: القضايا الدولية المرتبطة بالتدخل الروسي المباشر في الازمة السورية (الازمة الأوكرانية، الصراع في المتوسط، الصراع العربي الاسرائيلي، التقاطع الروسي الاميركي).

المبحث الثالث: أفق ومستقبل العلاقات الروسية – السورية.

الفصل الأول

العلاقات الروسية–العربية والروسية

الشرق أوسطية

الفصل الأول

العلاقات الروسية–العربية والروسية الشرق أوسطية

لقد حاول الاتحاد السوفياتي جاهداً، نسج افضل العلاقات مع معظم الدول العربية، حيث تقدمت تلك العلاقات الى مصاف العلاقات الاستراتيجية مع بعض الدول كمصر وسوريا والعراق، وحافظ على مستوى معين من المتانة مع دول اخرى مثل ليبيا والعراق والسعودية، اضافة الى بعض دول الاقليم المجاورة للدول العربية كتركيا وايران والكيان الاسرائيلي، ثم تراجعت هذه العلاقات مع انهيار الاتحاد السوفياتي، الى أن عادت روسيا بقوة الى مسرح العلاقات الدولية مع وصول الرئيس الروسي فلاديمير بوتين الى سدة الرئاسة هناك.

لقد وضعت القيادة الروسية ما يشبه الشبكة العنكبوتية في نسج العلاقات مع الدول العربية والدول الاخرى المجاورة، مع تحديد قطر معين لكل خيط من خيوطها، كترجمة لأولوياتها في المنطقة العربية ومحيطها.

على هذا الاساس مضت روسيا في نسج علاقاتها الجديدة مع تلك الدول، آخذة بعين الاعتبار، مصالحها القومية من وراء تلك العلاقات، مخفضة الى الحد الادنى من البعد العقائدي في نسج تلك العلاقات، وبعدما خسر الاتحاد السوفياتي مصر في السبعينيات، وبعدها اليمن في التسعينات، وليبيا في بداية الالفية الثالثة، ادرك الروس تماماً أهمية الاحتفاظ بالوجود الاستراتيجي لهم في سوريا، كموطئ قدم لهم في تلك المنطقة، وكبوابة عبور الى الوجود الفاعل على مسرح العلاقات الدولية.

سوف نركز في هذا الفصل على العلاقات الروسية مع كل من السعودية ومصر وليبيا، اضافة الى تركيا وايران والكيان الاسرائيلي، نظراً للتأثير المتبادل والمباشر لتلك العلاقات على الوجود الروسي في سوريا وتدخلها المباشر في الأزمة هناك.

المبحث الأول: العلاقات الروسية العربية

ظلت روسيا*[1] في اطار الاتحاد السوفياتي السابق وفي ظل الحرب الباردة، الحليف الاول والمصدر الاساسي للمساعدات العسكرية والاقتصادية لعدد من البلدان العربية وعلى رأسها العراق وسوريا واليمن

* يعود تاريخ قيام روسيا الموحدة الى نفس الوقت الذي ظهرت فيه الدولة الموحدة في اوروبا الغربية في بدايات القرن الخامس عشر، وقد عاصر القيصر ايفان الثالث(١٤٦٢-١٥٠٥) مؤسس الوحدة الروسية، الملك الفرنسي لويس الحادي عشر(١٤٦١-١٤٨٣) الذي الغى التجزئة الاقطاعية في فرنسا.

[1] التكريتي، هاشم، مقدمة في تاريخ روسيا الحديث، دار صفحات، دمشق، ٢٠١٥، ص ٧٠.

وليبيا. ففي العام ١٩٨٩ كان لروسيا ١٣٥٠ خبيراً عسكرياً في العراق، و٢٣٠٠ خبيرا في سوريا، و١١٨٠ خبيرا" في اليمن الجنوبي والشمالي[٢]. كذلك كان لروسيا آلاف الخبراء الاقتصاديون والفنيون في كل من العراق واليمن وسوريا، وقد جاء ذلك في اطار معاهدات الصداقة الموقعة مع تلك الدول، ومع انهيار الاتحاد السوفياتي وتدهور الاوضاع الداخلية في روسيا وانتهاء الحرب الباردة على الصعيد الدولي، تراجع الوطن العربي نسبياً في سلم اولويات السياسة الخارجية الروسية، وذلك مع انشغال القيادة الروسية بحل مشاكلها الداخلية المتفاقمة من جهة، واتجاهها الواضح نحو الغرب والولايات المتحدة الاميركية بغية الاندماج في الحضارة الغربية والحصول على التقانة الغربية المتقدمة والمساعدات الاقتصادية اللازمة لنجاح الاصلاح الاقتصادي في روسيا من ناحية أخرى.

إلّا أنّ هذا لا يعني أنّ البلدان العربية قد فقدت اهميتها بالنسبة لروسيا، ولكن حدثت إعادة هيكلة للمصالح الروسية في المنطقة بحيث تراجعت الاهداف الايديولوجية في مواجهة الاهداف الاقتصادية، وحددت روسيا مصالحها في الوطن العربي على النحو التالي: [٣]

أوّلاً: تأمين حدودها الجنوبية ومنع اي صراعات في المنطقة قد يكون لها آثار سلبية على أمنها القومي.

ثانياً: جذب المساعدات والاستثمارات العربية لمساعدة روسيا في التغلب على أزمتها الاقتصادية.

ثالثاً: تنشيط العلاقات الاقتصادية والتجارية بين روسيا والدول العربية.

رابعاً: تنشيط تجارة السلاح الروسية، حيث يعتبر الوطن العربي سوقاً مهماً لمثل هذه التجارة.

لعل التوجه الروسي في تمتين العلاقة مع سوريا ورفعها الى مستوى العلاقة الاستراتيجية، يحمل في طياته الاهداف الاربعة التي سبق ذكرها، وسنركز في هذا المبحث على العلاقات الروسية مع كل من العربية السعودية ومصر وليبيا لما لها من أثر على العلاقات الروسية السورية والتدخل الروسي المباشر في الأزمة السورية.

---

[٢] الشيخ، نورهان، صناعة القرار في روسيا والعلاقات العربية الروسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٠٨.

[3] Kanet, roger, Russian foreign policy in the 21st century, Palgrave Macmillan, New York 2010, page 155.

الفقرة الاولى: العلاقات الروسية السعودية

كان الاتحاد السوفياتي اول بلد في العالم يعترف بشرعية حكم الملك عبد العزيز بن سعود على الرياض ونجد وذلك في العام ١٩٢٦، وفي العام ١٩٣٢ زار الامير فيصل بن عبد العزيز الاتحاد السوفياتي ونصح بأن تحتفظ السعودية بعلاقات طيبة مع الاتحاد السوفياتي، ولأسباب لم تتوضح قطع ستالين علاقاته مع السعودية في العام ١٩٣٨.

وفي اعقاب الحرب العالمية الثانية اخذت العلاقات بالتحسن بين الطرفين، الا ان الانقلاب المدعوم من روسيا في اليمن ضد نظام الامام الحاكم المدعوم من السعودية جعل العلاقات تتراجع حتى عهد الملك فيصل في العام ١٩٦٧، عندما دعمت السعودية الدول العربية ضد العدوان الاسرائيلي وحتى حرب العام ١٩٧٣ عندما شهرت السعودية سلاح النفط بوجه الولايات المتحدة الاميركية وببعض من التنسيق مع الاتحاد السوفياتي الى ان اغتيل الملك فيصل في العام ١٩٧٥ ليخلفه الملك خالد الذي اعاد العلاقات الديبلوماسية مع الاتحاد السوفياتي في العام ١٩٧٦ خاصة بسبب الدعم السوفياتي المستمر للقضايا العربية.

تدهورت العلاقات بعدها لمدة عشر سنوات إبان احتلال السوفيات لأفغانستان وانخراطهم في نزاع دموي طويل ضد المجاهدين المدعومين من السعودية والولايات المتحدة الاميركية، وحتى العام ١٩٨٩ حين اعلن غورباتشوف قراره سحب قواته من افغانستان، بعدها زار وزير الخارجية السعودي سعود الفيصل موسكو في العام ١٩٩٠للبحث في خطط التعاون الديبلوماسي، وقد عزز العلاقات بين الطرفين، الموقف السوفياتي الداعم لجهود قوى التحالف ومن بينها السعودية اثناء غزو العراق للكويت، الا أن عهد يلسين شهد تراجعا ملحوظا في تلك العلاقات، خاصة وانه شهد هجومين روسيين ضد الشيشان، حيث نشأت المشكلة الشيشانية في العام ١٩٩٤، وكانت السعودية من اكثر الدول الداعمة للمجاهدين الشيشان، واستمر هذا الدعم في تأجيج التباعد بين الطرفين، حتى العام ٢٠٠٣حينما استطاع الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، انتزاع قرار سعودي بوقف الدعم للمجاهدين الشيشان مقابل انخراط كافة اطراف النزاع في حوار بين الاديان بما فيها العربية السعودية.

في العام ٢٠٠٨ زار الامير بندر، موسكو من اجل اضفاء طابع رسمي على معاهدة استراتيجية بين روسيا والسعودية تتعلق بالنفط والغاز والسياسات المالية ولعقد صفقات ضخمة في مجال التسلح ، وقد عززت الاتفاقية المذكورة من متانة العلاقات الى حد كبير[٤].

إن روسيا تسعى إلى النهوض من الكبوة التي سببها سقوط الإمبراطورية السوفييتية، فيما السعودية منخرطة بورشة كبرى لإعادة قراءة المشهد الدولي برمته، والتموضع وفق شروط مستجدة لا سابق لها في تاريخ المملكة، وفي الطريق، فإن في طبيعة العلاقات الجديدة بين روسيا والسعودية اعتراف مشترك بأمرين:

الأول، إقرار الرياض بأن روسيا قوة عظمى تعود إلى الساحتين الدولية والإقليمية، وتطل مباشرة على منطقة الشرق الأوسط، وتفرض أجندتها، لا سيما من خلال الميدان السوري، دون إهمال تقدمها وإنجازها اختراقات لافتة مع عدد من دول المنطقة، لا سيما مصر وإيران، والثاني، إقرار موسكو بأن السعودية باتت "الطرف الأساسي" الذي يقود الوجهة العربية في ملفات ساخنة متعددة، لا سيما ذلك المتعلق بالمواجهة مع إيران، والموقف العربي من الأزمة السورية؛ تلك هي الندّية التي يتعامل بها الطرفان، كل لأسبابه، ولمآلات مختلفة، وكل فريق يملك من القوة والنفوذ ما يمكنّه من تعطيل أجندات الطرف الآخر.

يذهب زهير بن فهد الحارثي، عضو مجلس الشورى السعودي، في حديث لصحيفة "العرب" إلى شرح مقاربات الرياض الجديدة، حيث يقول "إن السياسة السعودية الجديدة ترى أن اختلاف وجهات النظر إزاء قضية معينة مع أي دولة لا يعني القطيعة معها، فما بالك بروسيا التي عادت اليوم للقطبية وباتت تلعب أدوارا" مؤثّرة في الملفات الملتهبة"[٥].

بالرغم من الندية المذكورة في العلاقة بين الطرفين، إلا أن مسألة هبوط اسعار النفط في الاعوام الاخيرة أثرت على تلك العلاقة، ولقد عبّرت موسكو عن غضبها في شأن ما اعتبرته "مؤامرة سعودية أميركية" للتأثير على أسعار النفط، وقد سارعت السعودية الى نفي الموضوع بالمنطق والحجج والأرقام

[٤] اسكندر، مروان، الدب ينقلب نمراً، روسيا الولادة الجديدة، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ٢٠١١، ص ٢٤٤
[٥] مقال بعنوان : السعودية- روسيا علاقات على قاعدة الخلاف، منشور على موقع الروابط الالكتروني للدراسات والابحاث الاستراتيجية بتاريخ ٩ آذار ٢٠١٦.رابط الدخول: http://rawabetcenter.com/archives/22155

والوقائع، معتبرة أن روسيا تعجّلت في الحكم على ظاهر الأمور، وقد تمسكت السعودية بتواصل مع موسكو، للخروج بحلول تنعش سوق الهيدروكربونات في العالم، وكان أن فهم الروس من جديد الرقم السعودي الصعب وراحوا يوطدون علاقتهم مع المملكة على هذا الاساس[٦].

بالانتقال الى ملف الأزمة السورية، فإن للسعودية موقف حازم يتناقض في الشكل والمضمون مع ذلك الذي تتبناه روسيا، فموسكو تدافع علنا" بالسياسة والعسكر عن النظام السوري في دمشق، فيما الرياض ما انفكت تكرر لازمة لم تتبدل في معارضة الحكم في دمشق، والدعوة إلى رحيله عبر المفاوضات، أو عبر الحلّ العسكري؛ لكن المفارقة في طبيعة العلاقة الجديدة بين روسيا والسعودية، تكمن في حرص البلدين على تنمية علاقاتهما في ميادين عديدة، وفي إرادتهما على التعايش رغم الخلاف، وهما يعملان على تدعيم مسار علاقاتهما باتجاهات استراتيجية متينة، رغم التناقض في مقاربة بعض الملفات الساخنة، لا سيما ملف الأزمة السورية.

تجدر الاشارة الى انه في الملف اليمني، وقفت موسكو الى جانب الرياض ولم تستخدم حق الفيتو في مجلس الأمن ضد القرار ٢٢١٦ الذي منح السعودية شرعية التدخل على رأس تحالف عاصفة الحزم هناك، مسجلة تباينا عن طهران ومظهرة حرصا" على عدم تهديد أمن المملكة العربية السعودية وبعض دول الخليج.

لقد أنتج الملف السوري تداعيات جديدة على علاقات السعودية مع القطبين الروسي والاميركي، حيث يعتبر بعض المحللون أن الإدارة الأميركية رسمت سيناريو المستقبل السوري في سياق الأمن الأميركي الجديد من البوابة الإيرانية، وطبعا الإسرائيلية ضمنا، بحيث اطلقت يد ايران في الميدان السوري دون مآذرة ضغط كاف عليها لوقف دعمها للنظام السوري، مع مراعاة المصالح الاسرائيلية خاصة في مناطق الجنوب السوري، مما شكل خيبة أمل لدى السعودية، ناهيك عن مقدار التهافت الاميركي على إيران واختزال المشكلة معها فقط في الملف النووي دون الأخذ بعين الاعتبار الاتهامات والانتقادات الموجهة اليها من بعض دول الخليج العربي وخاصة السعودية، كل ذلك دفع بالسعودية الى التفكير جديا" في تقوية الروابط وتعزيز العلاقات في اتجاهات اخرى خاصة مع روسيا.

[٦] نفس المرجع السابق.

إن المراقبون الروس يتعاملون بجدية مع عملية التقارب الجارية ببطء لكن دون توقف بين بلادهم والسعودية، يعتبر سيرجي جنيف (سبوتنيك) "أن تفاهمات كبيرة قد تحدث بين البلدين خلال الفترة المقبلة ربما تكون محركا قويا لعهد جديد قد ينطلق"[٧]

من جهة اخرى يعتبر ماجد التركي، وهو المتخرّج من الجامعات الروسية، ويكشف عن "غياب الوعيّ لدى الكثير من شرائح المجتمع السعودي بتفاصيل الشأن الداخلي الروسي وطبيعة صناعة القرار في روسيا، وغياب المعرفة الحقيقية بمكونات المجتمع الروسي المؤثر في التوجهات السياسية الروسية. ويقابل هذا، انحياز تاريخي تغلغل في الشعور الباطني لشريحة كبيرة جدا من المثقفين والإعلاميين وصنّاع القرار السعودي بحكم تعلمهم وارتباطهم بالغرب بل وثقافتهم الغربية – الأميركية، حتى أن الكثير منهم لا يجد وعيه وإدراكه خارج هذا الميدان"[٨].

تشير بعض التقارير الى أن هناك ٢٣ مليون روسي مسلم يرتبطون روحانيا بالسعودية وهذا الملف مفصلي في الدفع باتجاه توطيد العلاقات ما بين البلدين، فالروس حريصون على تطوير العلاقة مع الرياض، كما أنهم في الملف السوري عبروا عن موقفهم اكثر من مرة بأن الرئيس الأسد لا يعنيهم بقدر ما يهمهم أمنهم القومي حيث أن هناك ٦٠٠٠ روسي منضمون في تنظيم داعش ما يعني ضرورة التدخل في سوريا للقضاء عليهم قبل أن يعودوا إلى روسيا[٩].

في الرياض، ثمة من يرى هذه الأيام أن الولايات المتحدة حليف كاذب وأن روسيا خصم نزيه، ذلك أن السعودية تعتبر أن لروسيا خيارات خاطئة في الملف السوري خصوصاً، لكنها خيارات واضحة بالإمكان التعرّف عليها والتعامل معها، فيما باتت طبيعة السياسات الأميركية مرتجلة عرضية غير قابلة للتوقع والاستشراف.

الفقرة الثانية: العلاقات الروسية الليبية

نشأت العلاقات الدبلوماسية بين موسكو وطرابلس في عام ١٩٥٥، وفي عام ١٩٩١ اعلنت ليبيا اعترافها الرسمي بروسيا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وقد بدأت العلاقات الثنائية تتطور بنشاط بعد ان

[٧] مقال بعنوان : السعودية- روسيا علاقات على قاعدة الخلاف، منشور على موقع الروابط الالكتروني للدراسات والابحاث الاستراتيجية بتاريخ ٩ آذار ٢٠١٦.رابط الدخول: http://rawabetcenter.com/archives/22155

[٨] نفس المرجع السابق.

[٩] مقال بعنوان : السعودية- روسيا علاقات على قاعدة الخلاف، منشور على موقع الروابط الالكتروني للدراسات والابحاث الاستراتيجية بتاريخ ٩ آذار ٢٠١٦.رابط الدخول: http://rawabetcenter.com/archives/22155

تولى معمر القذافي السلطة في عام ١٩٦٩. وقام معمر القذافي بزيارات رسمية إلى موسكو اعوام ١٩٧٦ و١٩٨١ و١٩٨٥ و٢٠٠٨.

في أواخر التسعينيات نشطت الاتصالات السياسية بين البلدين، وعام ٢٠٠١ قام إيغور إيفانوف وزير الخارجية الروسي آنذاك بزيارة عمل إلى ليبيا وذلك لأول مرة في تاريخ العلاقات الثنائية، وفي عام ٢٠٠٤ وعام ٢٠٠٥ زار موسكو في زيارتي عمل سيف الإسلام القذافي نجل معمر القذافي الذي ترأس منظمة القذافي الخيرية.[١٠]

قام الرئيس فلاديمير بوتين بزيارة رسمية إلى الجماهيرية الليبية عام ٢٠٠٨، وكانت هذه الزيارة بمثابة اول لقاء بين زعيمي الدولتين، وتم اثناء الزيارة توقيع عدد من الوثائق المهمة وبينها البيان حول تعزيز الصداقة وتطوير التعاون ومذكرة التفاهم الخاصة بتطوير التعاون في شتى المجالات الاقتصادية، واتفاقية العلاقات التجارية والاقتصادية والمالية، ووقع مع السلطات الليبية عقودا" بقيمة ٤،٦ مليارات دولار، منها ٣ مليارات للتسلح، والباقي عقود تجارية وبناء محطة نووية سلمية، وانشاء مترو الانفاق في العاصمة طرابلس وغيرها من المشاريع[١١]، اضافة الى التباحث في موضوع إحدى المشاريع الاستراتيجية المتمثل ببناء خط انابيب الغاز من ليبيا الى ايطاليا عبر شركة غاز بروم الروسية[١٢]، والتي لم يكتب لها النجاح لاحقاً.

الجدير بالذكر ان ليبيا اعتبرت وقتها من أكبر الدول المشترية للسلاح الروسي، وطبقا لمعطيات وزارة الدفاع الروسية فقد اعدت بمناسبة الزيارة المذكورة اتفاقيات لتزويد ليبيا بأسلحة قيمتها حوالي ٣ مليارات دولار، وتشمل تصدير المنظومات الصاروخية المضادة للجو القصيرة المدى، ومقاتلات جديدة من طراز" سو – ٣٥ وكذلك بيع واصلاح قطع الغيار والذخيرة من اجل الاسلحة[١٣].

وفي العام نفسه جرت أول زيارة للرئيس معمر القذافي إلى موسكو خلال السنوات العشرين الاخيرة، وادت المباحثات إلى عقد اتفاقية بين الحكومتين الروسية والليبية في مجال استخدام الطاقة الذرية

---

[١٠] مقال بعنوان :اول زيارة لزعيم روسي الى ليبيا في تاريخ العلاقات الثنائية، منشور على الموقع الالكتروني RT، بتاريخ ٢٠٠٨/٤/١٦. على الرابط التالي:-https://arabic.rt.com/news/13826

[١١] زيدان، ناصر، دور روسيا في الشرق الاوسط وشمال افريقيا من بطرس الاكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٣، ص ٢٨٩.

[١٢] غريب، ناتاليا، امبراطور الغاز، مكتبة مدبولي، القاهرة،٢٠١١، ص ١٨٢.

[١٣] مقال بعنوان: صادرات السلاح الروسي الى ليبيا، منشور على موقع الجزيرة الالكتروني، بتاريخ ٢٠١١/٣/١٢.على الرابط http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2011/3/12

للأغراض السلمية، كما تم الاتفاق على انشاء مصرف مشترك وتم توقيع مذكرات التفاهم الرامية إلى تنشيط العلاقات بين البلدين.

وخلال زيارة وزير الدفاع الليبي الى موسكو في العام ٢٠١٠، تم توقيع اتفاق تسلم بموجبه موسكو لطرابلس الغرب أسلحة بقيمة ١،٨ مليار دولار مكملة للصفقة السابقة.[١٤]

لقد اعتمد القذافي في تسليح جيشه على المصانع السوفياتية، والروسية فيما بعد، وفي المشاريع الاستثمارية كان يوكل جزءا" مهما" منها للشركات الروسية، وكان صديقا" شبه دائم لروسيا.

في ١٧ شباط ٢٠١١ اندلعت الثورة الليبية ضد حكم الرئيس معمر القذافي، لم تؤيد روسيا الثورة واكتفت بالدعوة الى وقف اراقة الدماء والدعوة الى عدم التدخل الخارجي، وقد صدر لاحقا" قرار عن مجلس الامن حمل الرقم ١٩٧٠، دعا القذافي لوقف استعمال السلاح الثقيل ضد الثوار المدنيين، كذلك فرض حصارا" اقتصاديا" وعسكريا" شاملا" على النظام الليبي، واحال ملف الجرائم المرتكبة الى محكمة الجنايات الدولية، وقد وافقت روسيا على القرار معتبرة أنه لا ينص على التدخل الخارجي.

بعدها وبسبب تعنت القذافي في استهداف الثوار، وضربه عرض الحائط بالقرار الدولي الصادر، اصدر مجلس الامن مجددا" قرارا" حول ليبيا، امتنعت روسيا عن التصويت عليه، حمل الرقم ١٩٧٣، وقد تضمن جملة من البنود اهمها الطلب من السلطات الليبية وقفا" فورياط للنار، على أن لمجلس الامن اتخاذ كافة الاجراءات الممكنة لحماية المدنيين دون أي تدخل عسكري على الارض، او احتلال اي بقعة من الاراضي الليبية.

بعد صدور القرار المذكور بيومين، بدأت الطائرات والبوارج الفرنسية والبريطانية والاميركية وبعض دول حلف الاطلسي، بهجوم واسع ضد اهداف تابعة لنظام القذافي، وقد شبه يومها الرئيس الروسي بوتين الهجوم بالحملة الصليبية معتبرا" أن القرار يسمح بالتدخل الاجنبي في دولة ذات سيادة[١٥]، ورغم أن روسيا مررت القرارات الدولية دون اعتراض، الا أنّها عبرت لاحقاً" عن استيائها من الخديعة التي تعرضت لها على يد الناتو في ما يتعلق بإصدار قرار دولي بحجة حماية المدنيين من الرئيس معمر القذافي ليتحول ذريعة للتدخل العسكري لفرض وصاية غربية على ليبيا، ما شكل ضربة لروسيا

[١٤] سري الدين، عايدة، البوابة السورية والعودة الروسية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٦، ص ١٤٢.
[١٥] سيد حسين، احمد، دور القيادة السياسية في اعادة بناء الدولة(روسيا في عهد بوتين)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٥، ص ٣٨٤

ومصالحها الحيوية في شأن اطلالتها على غرب المتوسط عبر طرابلس الغرب، وادى الى خسارتها مئات العقود والامتيازات مع النظام الليبي السابق.

لقد خرجت روسيا من ليبيا بخفي حنين، فهي لم تستطع الحفاظ على النظام، ولم تتمكن من نسج علاقات مبنية على الاحترام مع السلطات الجديدة، وقد تحولت معظم المشاريع التي كانت بعهدة الشركات الروسية الى الشركات الغربية، وخصوصاً الفرنسية والايطالية، وهذه الشركات هي التي تنفذ معظم مشاريع اعادة البناء دون أن يكون لروسيا أية امتيازات، كما كان الحال أيام حكم القذافي.

لقد خرجت موسكو من المغامرة الليبية صفر اليدين، وبدأت بالتفكير بطرق مختلفة للحفاظ على مكانتها في الشرق الاوسط، خصوصا" قاعدتها العسكرية في طرطوس، ولذلك فهي، لاحقا"، اعلنت بشدة عزمها معارضة اي قرار دولي يصدر في حق سوريا بما يمهد لاعتداء عسكري عليها لاحقا"[١٦].

إن الموقف الروسي مما جرى في ليبيا لم يخفي نوايا المسؤولين الروس، الذين ابدوا تخوفهم مما يحصل على الساحة العربية، لا سيما الرئيس بوتين[١٧]، فهم لم يؤيدوا الثورة ولم يقفوا ضدها، ولم يكن لهم استراتيجية واضحة للتعامل مع الاحداث، ، لقد ابدوا حماسة للإصلاح، لكنهم كانوا ضد التغيير، وقد جمعوا كل الملاحظات والاخفاقات وأخذوا بها لتنفيذ استراتيجية جديدة للتعامل مع الاحداث في سوريا، وكما قال الدكتور في علوم التاريخ والخبير العسكري الروسي فلاديمير بوبوف[١٨]، لقد خسرنا القدرة على الحصول على قاعده عسكريه في ميناء طرابلس بليبيا كوننا لم ندعم نظام معمر القذافي في ليبيا إبان تعرضه للهجوم الغربي، لذا على الاقل يجب ان تبقى لنا قاعده طرطوس، وعليه فإن الموقف الروسي من الثورة الليبية يعتبر محطة فارقة في مسار السياسة الخارجية الروسية، لما سببه لها من أزمات على صعيد الهالة الدولية بعد خسارة النفوذ هناك، ومنه يمكن فهم أحد اسباب الموقف الروسي من الأزمة السورية، حيث تجمع اهم الأحزاب الروسية (الحزب الحاكم روسيا الموحدة، الحزب الشيوعي، الحزب الليبرالي الديمقراطي، حزب روسيا فقط) انه لا يجب تكرار السيناريو الليبي في سوريا، فخسارة سوريا تعني خسارة حليف استراتيجي وخسارة أكبر مشتري للأسلحة الروسية بعد ليبيا في المنطقة وخسارة مشاريع اقتصادية وعقود موقعة مع سوريا في مجالات التنقيب عن النفط والغاز.

---

[١٦] واكيم، جمال، صراع القوى الكبرى على سوريا(الابعاد الجيوسياسية لأزمة ٢٠١١)،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،بيروت،٢٠١١، ص ٢٠٩.

[١٧] زيدان، ناصر، دور روسيا في الشرق الاوسط وشمال افريقيا من بطرس الاكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،٢٠١٣ ص ٢٩٥

[١٨] مقال بعنوان: ابعاد الموقف الروسي الداعم لسوريا، منشور على موقع تحولات الالكتروني، للكاتب رياض عيد، بتاريخ ٢٠١٢/١٠/٢. على الرابط التالي: http://www.tahawolat.net/MagazineArticleDetails.aspx?Id=266

لقد بينَت الأزمة الليبية مجدداً–وغيرها من الأزمات العربية التي سبقتها والتي أتت بعدها– أنها ساهمت في تغيير هيكل توزيع القوة في النظام الإقليمي العربي. فقد عملت الولايات المتحدة على إخراج العراق من

المعادلة العربية في العام ٢٠٠٣، كما أدت الأزمة الليبية إلى النتيجة ذاتها، وامتدت هذه الحالة إلى إحدى الأركان العربية الأساس–سوريا[١٩].

الفقرة الثالثة: العلاقات الروسية المصرية

يعود تاريخ العلاقات الروسية المصرية الى العام ١٩٤٨، حين وقعت أول اتفافية اقتصادية حول مقايضة القطن المصري بحبوب وأخشاب من الاتحاد السوفياتي، بعدها شهدت العلاقات تطورات متلاحقة كان أبرزها بعد انتخاب عبد الناصر رئيسا" لجمهورية مصر العربية، وذلك غداة الضغط الذي مورس عليه من قبل الولايات المتحدة الاميركية للانضمام الى حلف بغداد، ورفضه المطلق للموضوع، واقدامه على تأميم قناة السويس، الامر الذي دفع بالإدارة الاميركية الى ايقاف مشروع تمويل السد العالي ومساعدات اخرى، فكان الاتحاد السوفياتي هو البديل حيث شيد السد العالي بتمويل سوفياتي، اضافة الى الدعم العسكري الكبير الذي تلقته مصر من الاتحاد السوفياتي لتحديث قواتها المسلحة، مشرعة الابواب امام علاقات مصرية سوفياتية متقدمة.

لقد بلغت العلاقات الثنائية ذروتها في فترة الخمسينات والستينات من القرن العشرين، خاصة بعد وقوف السوفيات الى جانب مصر إبان العدوان الثلاثي عليها، وقد ساعد آلاف الخبراء السوفيات مصر في إنشاء المؤسسات الإنتاجية والصناعية، ومد الخطوط الكهربائية، ومصانع الحديد والصلب، وتلقى العلوم أجيال من اولئك الذين يشكلون حاليا" النخبة السياسية والعلمية والثقافية في مصر، ومن بينهم الرئيس المصري السابق حسني مبارك الذي تخرج من أحد المعاهد العسكرية السوفياتية[٢٠].

لقد وصل الأمر بالعلاقات الروسية المصرية، الى قيام القوات المسلحة المصرية بالاحتفال بالذكرى السنوية لميلاد فلاديمير لينين، واذا كان الروس قد دخلوا في علاقاتهم مع العرب من البوابة المصرية في عهد عبد الناصر، إلا ان خروجهم منها لم يستغرق سوى ساعات محدودة عندما قام الرئيس

---

١٩ اللقيس، عماد، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلاقات الدولية بعنوان "التدخل الاطلسي في ليبيا وتفاعلاته الداخلية والدولية،كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية في الجامعة اللبنانية، بيروت، ٢٠١٦، ص ١٤٩.

٢٠ اسكندر، مروان، الدب ينقلب نمرا" روسيا الولادة الجديدة، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت ٢٠١١، ص ٢٣٤.

المصري انور السادات بطرد الخبراء السوفيات فجأة من الجيش المصري، ليدخل بعدها الحرب مع اسرائيل عام ١٩٧٣ من دونهم.

بعد حرب العام ١٩٧٣، ومع استمرار عهد الرئيس الراحل انور السادات، شهدت العلاقات بين البلدين تباعدا" كاملاً حيث راحت مصر توطد علاقاتها مع الغرب وأمريكا، في مقابل علاقات شكلية مع روسيا .

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي عام ١٩٩١، كانت مصر في طليعة الدول التي أقامت العلاقات الدبلوماسية مع روسيا، وتطورت العلاقات السياسية على مستوى رئيسي الدولتين والمستويين الحكومي والبرلماني، كذلك شهدت العلاقات الاقتصادية تطورا" ملحوظا"، اضافة الى الاستثمارات المتبادلة في مجال القطاع الخاص،

وجاءت الزيارة الرسمية الأولي للرئيس مبارك إلى روسيا الاتحادية في ايلول ١٩٩٧، وقع خلالها البيان المصري الروسي المشترك وسبع اتفاقيات تعاون[٢١].

بعدها قام مبارك بزيارتين إلى روسيا عام ٢٠٠١ و٢٠٠٦ وأعدت خلالهما البرامج طويلة الأمد للتعاون في كافة المجالات والبيان حول مبادئ علاقات الصداقة والتعاون، وقد قام الرئيس فلاديمير بوتين بزيارة عمل إلى القاهرة في نيسان من العام ٢٠٠٥، وصدر في ختام المباحثات الثنائية التي جرت في القاهرة البيان المشترك حول تعميق علاقات الصداقة والشراكة بين روسيا الاتحادية وجمهورية مصر العربية والذي يؤكد الطبيعة الاستراتيجية لهذه العلاقات[٢٢].

في العام ٢٠٠٧ بدأت شركة الغاز والنفط " العملاقة كازبروم " الروسية، إستخراج وإنتاج الغاز في حقول بلدة العريش في مصر، وبلغ التبادل السلعي بين البلدين في عام ٢٠٠٨ حوالي ٢ مليار دولار، وتشكل الخامات نسبة عالية من الصادرات الروسية الى مصر بينما تشكل المنتجات الزراعية البنود الأساسية في الصادرات المصرية.

في العام ٢٠٠٩ زار الرئيس ميدفيديف القاهرة ، وقد تخلل الزيارة توقيع اتفاقيات تجارية واسعة، بما فيها اتفاقية التعاون النووي للأغراض السلمية.[٢٣]

---

[٢١] الشيخ، نورهان، صناعة القرار في روسيا والعلاقات الروسية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨، ص ١٠٨.

[٢٢] مقال بعنوان : نبذة عن تاريخ العلاقات الروسية المصرية، منشور على موقع انباء روسيا الالكتروني على شبكة الانترنت، تاريخ ٢٠١٣/١١/٨، على الرابط: http://www.russiannewsar.com/1367-2/

[٢٣] زيدان، ناصر، دور روسيا في الشرق الاوسط وشمال افريقيا من بطرس الاكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٣، ص ٢٨٣.

بالرغم من محاولة الروس التشديد على ضرورة الحل السلمي للأزمة المصرية غداة اندلاع ثورة شباط ٢٠١١، ضد الرئيس حسني مبارك، وارسال الرئيس الروسي لمبعوثه الخاص الكسندر سلطانوف للقاء الرئيس مبارك قبل يومين من تنحيه، مما شكل امتعاضا" من قبل قيادات الثورة المصرية، خاصة الاسلامية منها، الا أن الاتصالات الرسمية تواصلت بين القيادة الروسية والسلطة السياسية الجديدة المنتخبة في مصر بقيادة الرئيس المخلوع محمد مرسي، لكن رصيد القيادة الروسية مع هذه السلطة الجديدة إنخفض الى الحدود الدنيا، وزادت مشاعر عدم الارتياح تجاه الرئيس بوتين بعد اندلاع الأزمة السورية، والموقف الروسي الداعم لنظام الرئيس بشار الاسد.

بعد ثورة ٣٠ تموز عام ٢٠١٣، أخذت العلاقات الروسية المصرية شكلًا من أشكال التقارب العميق الذي وصل إلى حدود غير مسبوقة، حيث اتسمت العلاقات بين الطرفين، عقب تولي الرئيس عبد الفتاح السيسي منصب الرئاسة، بالتعاون الوثيق في المجالين العسكري والسياسي، ناهيك عن تبادل الزيارات السياسية والديبلوماسية، مع عدم إغفال وجود نقاط اختلاف بين الطرفين، بدأت تظهر بشكل واضح عقب سقوط طائرة السياح الروسية المدنية "إيرباص إيه ٣٢١" في سيناء ومقتل ٢٢٤ شخص على متنها.

بحلول العام ٢٠١٤، اصبحت مصر تتعامل مع روسيا كشريك استراتيجي، خاصة في ما يتعلق بمجالات التبادل التجاري وفتح الاسواق، وعلوم الفضاء، وقد حدثت بعض المشاكل للقمر الصناعي المصري، الذي أطلق في نيسان ٢٠١٤، خارجة عن إرادة الجانب المصري والجانب الروسي، لكن الجانب الروسي أكد التزامه بتعويض القمر المفقود بقمر جديد على نفقة الجانب الروسي وهذا ما يجري العمل عليه الآن، ومن المرجح أن يطلق في خلال سنتين من الآن، أي أواخر عام ٢٠١٨، أوائل عام ٢٠١٩، وبهذا فإن روسيا تؤكد أن علاقاتها بمصر علاقة استراتيجية، خصوصاً في مجال تطبيقات التكنولوجيا الحديثة.

أما فيما يتعلق بالتعاون النووي فقد تم التوقيع، خلال زيارة الرئيس الروسي الى القاهرة، على العقد الخاص بإنشاء أربعة مفاعلات نووية، وبتمويل روسي كامل بأحدث تكنولوجيا المفاعلات النووية المستخدمة في روسيا، حيث أن مصر، بإنتاج حجم الطاقة المتوقع من هذه المفاعلات ستنتقل إلى مصاف الدول المشبعة بالطاقة الكهربائية[٢٤].

بالانتقال الى تأثير هذه العلاقة على الأزمة السورية، فإن هناك مؤشرات لا تخفى على أي متابع للأحداث، حيث أن مصر دولة ضعيفة اقتصادياً وهي تتلقى دعماً ضخماً من المملكة العربية السعودية ودول الخليج، وهذه الدول بالتحديد لها شروطها عند تقديم منح أو قروض، وهذه الدول بالتحديد تلعب دوراً في الضغط على السياسة الروسية نتيجة موقفها من سوريا، فإذا كانت هذه الدول معادية للسياسات الروسية في سوريا وفي نفس الوقت تقدم عوناً لمصر، فإن هذا العون سيكون مشروطاً بالتراخي في تعميق التعاون المصري الروسي، هذا من حيث الشكل.

أما من حيث الموضوع، فلكل دولة من يحمي مصالحها، فمصر كانت ولمدة طويلة في علاقة وطيدة مع المجتمع الغربي وأمريكا، وقد نشأ عن هذه العلاقة لوبيات في كافة مصالح ومؤسسات الدولة، وقد أخذت هذه اللوبيات تدافع عن مصالها ومصالح أمريكا، فليس من الغريب أن كبار رجال الأعمال، الذين يحضرون لقاءات رؤساء مصر وروسيا، هم نفس الوجوه التي تأتي في مقدمة لقاءات الرئيس المصري مع الإدارة الأمريكية والغربية، مع الاشارة الى أن الشعب المصري يدعم بشدة التوجهات نحو المزيد من التعاون المصري الروسي، بعد تاريخ طويل من العلاقات المميزة[٢٤].

لقد تحدثت تقارير إعلامية عن وجود بوادر أزمة وتوترات في العلاقات المصرية الروسية خلال الفترة الحالية، مردها الى وجود عقبات في المشروع النووي الروسي المصري المشترك على الاراضي المصرية، ولم يخف المصدر ضيق الرئيس عبد الفتاح السيسي من عدم دخول المشروع حيّز التنفيذ بشكل جدي حتى الآن. ورغم أن الخلافات بين مصر وروسيا غير معلنة، ولم ترتق لتصبح أزمات دبلوماسية، إلا أن كلا الطرفين يحملان وجهة نظر مختلفة واستراتيجية خاصة في التعامل مع بعض الأزمات الإقليمية وفق مصالحه، فبعيدًا عن أزمة ملف المشروع النووي المذكور، يبدو أن هناك بعض التوترات غير المعلنة لدى الطرفين، لكنها تعتبر واضحة بشكل جلي لبعض المراقبين الذين يرون أن الموقف الروسي من مصر لم يرق الى مستوى العلاقة التي كانت سائدة بين الطرفين أيام حكم عبد الناصر.

بعد اسقاط طائرة السوخوي الروسية، من قبل الجيش التركي، لم تتأخر روسيا بملاقاة الاعتذار التركي حول الموضوع، حيث اعلنت عن عودة السياحة الروسية الى تركيا، وقد تساءل بعض المراقبين عن السبب الذي يجعل روسيا تتخذ مثل هذا القرار بسهولة مع دولة تعمدت إسقاط مقاتلتها، فضلًا عن أنها تربطها علاقات متوترة بها وصلت إلى حد التهديد بشن حرب، بينما تتأخر في اتخاذ القرار نفسه

مع مصر، حيث تماطل موسكو في شأن عودة النشاط السياحي الروسي إلى مصر، الذي انقطع منذ سقوط طائرة السياح الروسية في سيناء، الأمر الذي جعل بعض المراقبين يؤكدون أن تأخر القرار الروسي بالنسبة لمصر لم يكن نابعا من تخوفات موسكو بشأن تأمين المطارات المصرية كما تدعي، بينما ينبع من أزمة سياسية تستخدم فيها روسيا هذه الورقة لتضغط على القاهرة وتآذار سياسة تضييق الحصار عليها اقتصاديًا.

بالنظر إلى المواقف الروسية الأخيرة، نجد تحولا كبيرا طرأ على استراتيجية موسكو في التعامل مع القاهرة، الأمر الذي يدفع للبحث عن أسباب التحول المفاجئ، حيث يرى بعض المراقبين أنه بدأ منذ سقوط الطائرة الروسية في سيناء في تشرين الثاني، الأمر الذي وتر العلاقات بين الطرفين، خاصة أن التحقيقات حينها شابها بعض التجاذبات بشأن سبب سقوط الطائرة، حيث استبعدت مصر في البداية فرضية تعرض الطائرة لعمل إرهابي، فيما رجحت موسكو الفرضية، ما شكّل إحراجًا كبيرًا للسلطات المصرية.

وربطا" بالقضية السورية، استبعد بعض المراقبين أن يكون سبب التحول الروسي تجاه الموقف المصري نابعا من سقوط الطائرة الروسية، على اعتبار أن الحادثة أصبحت معتادة لدى العديد من الدول المتقدمة ولا تؤثر عادة على العلاقات بين الطرفين، حيث رجح هذا الفريق من المراقبين أن يكون التحول الروسي نابع من المواقف السياسية التي يتخذها الطرفان في الأزمات الإقليمية، فعلى سبيل المثال، تدعم موسكو النظام السوري بشدة وتقدم المساعدات للجيش السوري في حربة ضد الإرهاب، فيما تقف القاهرة موقف المتفرج أو المحايد، فلم تتخذ خطوات علنية بشأن دعم الرئيس السوري، بشار الأسد، الذي يُعد حليفا قويا لروسيا.

من جانب آخر، فإن موسكو تشعر بأن التقارب المصري السعودي قد يأتي على حسابها، الأمر الذي أرجع إليه بعض المراقبين سبب تغير الموقف الروسي من القيادة المصرية، حيث تتمتع العلاقات المصرية السعودية بالتعاون الوثيق والتقارب القوى مؤخرا"، وبالتحديد منذ زيارة العاهل السعودي، سلمان بن عبد العزيز، القاهرة خلال نيسان من العام ٢٠١٦، وتوقيع الطرفين للعديد من الاتفاقيات العسكرية والتجارية والاقتصادية، وأهمها اتفاقية تيران وصنافير.

إن هذا التقارب المصري السعودي لا يروق لموسكو، التي تربطها علاقات متوترة مع الرياض بشأن العديد من القضايا الإقليمية، وعلى رأسها الأزمة السورية ، حيث تنتقد المملكة دعم موسكو الشديد للرئيس السوري وإفشالها محاولات السعودية إسقاط نظامه منذ بدء اندلاع الازمة السورية.

على رغم التحليلات التي وردت، فإن زيارة الرئيس عبد الفتاح السيسي إلى روسيا للاحتفال بعيد النصر تعد الأولى من نوعها، التي يحضر فيها رئيس مصري هذا الحفل بدعوة رسمية، ويشير ذلك إلى أن العلاقات المصرية الروسية لا تزال في طريقها نحو التطور، واستعادة العلاقة الوطيدة التي جمعتهما على مر العصور، في مجالات الاقتصاد والتجارة والتعليم والطاقة، وغيرها من العلاقات الثنائية على المستوى الدولي، ويتوقع أن يصبح البلدان شريكان على الصعيدين الثنائي والدولي.

المبحث الثاني: العلاقات الروسية مع بعض دول الاقليم (تركيا، ايران، اسرائيل)

عطفا" على علاقاتها مع الدول العربية، ذهب الاتحاد السوفياتي ومن بعده روسيا الاتحادية الى تعميق العلاقات مع بعض دول الاقليم، وسوف نتطرق في هذا المبحث الى العلاقات الروسية مع كل من تركيا وايران والكيان الاسرائيلي، لما لها من ارتباط وثيق، وتأثير متبادل على العلاقات الروسية السورية، ومن أثر مباشر متبادل ايضا" مع التدخل الروسي في الأزمة السورية.

الفقرة الأولى: العلاقات الروسية الاسرائيلية

أوّلاً: تاريخ وحجم العلاقات بين البلدين

بداية، لا بد من الاشارة الى أن أراضي الكيان الاسرائيلي تضم أكثر من مليون مهاجر قدموا من أراضي الاتحاد السوفياتي سابقا"، الأمر الذي يعزز علاقات روسيا مع هذا الكيان، هذا اضافة الى أن اللغة الروسية هي اللغة الثالثة الأكثر تداولاً في إسرائيل بعد العبرية والإنكليزية.

في عام ١٩٤٧، وجد السوفييت في الدولة العبرية "أرضهم الموعودة"، ما يفسر موافقة الاتحاد السوفياتي على قرار تقسيم فلسطين، عام ١٩٤٧ في الأمم المتحدة، والاعتراف شبه الفوري بالدولة الإسرائيلية في ايار ١٩٤٨. إضافة إلى ذلك، فقد سمح الاتحاد السوفياتي أيضا للدولة العبرية الفتية بأن "تفرض نفسها على جيرانها العرب، بإمدادها بتسليحات هامة خلال حرب ١٩٤٨/١٩٤٩.[٢٤]

[٢٤] مقال بعنوان: سورية وروسيا تاريخ من العلاقات من ١٩٤٦ إلى ٢٠١٢، منشور على موقع global research الالكتروني، بتاريخ ٢٥ حزيران ٢٠١٢.على الرابط: https://www.globalresearch.ca/1605-1575-1578-1593-1606/31931

لقد شهدت العلاقات السوفياتية الاسرائيلية فتورا" خلال حقبة الاتحاد السوفياتي، لا تستوجب التوقف عندها، تلتها فترة من التخبط في العلاقات بين البلدين إبان انهيار الاتحاد السوفياتي، حتى وصول بوتين الى سدة الحكم في روسيا.

عند استلامه زمام السلطة في آذار من العام ٢٠٠٠، سعى بوتين إلى إعادة روسيا كلاعب بارز إلى الشرق الأوسط وعمل مع جميع الأطراف في المنطقة، سواء أكانوا أصدقاء أو خصوماً تقليديين. وقد جعل سياسته ترتكز على تعريفه الخاص للمصالح الروسية، وتضمنت هذه السياسة تحسين العلاقات مع إسرائيل إثر تدهورها في أواخر التسعينات في عهد وزير الخارجية ورئيس الوزراء آنذاك يفكيني بريماكوف، الذي كان أكثر تأييداً للعرب في مسألة الصراع العربي الاسرائيلي.

وهناك عدة عوامل دفعت سياسة بوتين ايجابا" باتجاه إسرائيل، خصوصاً في سنوات حكمه الأولى، أبرزها الصراع مع جمهورية الشيشان المنشقة في شمال القوقاز، وهو صراع بدأ في أوائل التسعينات، وكان أساساً حركة انفصالية علمانية أصبحت ذات طبيعة إسلامية متطرفة بشكل متزايد، ويعزى ذلك بقدر كبير إلى سياسات موسكو الصارمة هناك، وقد شبّه بوتين صراع روسيا ضد الإرهاب هناك بصراع إسرائيل ضده في الاراضي المحتلة. وعلى مر السنين، أجرى هذه المقارنة ذاتها في اجتماعاته مع عدة مسؤولين إسرائيليين رفيعي المستوى، وفي العام ٢٠٠٣ وصف رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق أرييل شارون، الذي يجيد اللغة الروسية وشكّل علاقة شخصية وطيدة مع بوتين، الرئيس الروسي بـ "الصديق الفعلي لإسرائيل"، وكانت إسرائيل من بين الدول القليلة التي لم تنتقد بوتين على خلفية الإجراءات التي اتخذها في الشيشان.

وهناك محرّك آخر لسياسة بوتين تجاه إسرائيل، وهو تشديده على تطوير علاقات اقتصادية مع دول الشرق الأوسط، من هنا سعى إلى إقامة علاقات تجارية مع إسرائيل، مثل تجارة التكنولوجيا العالية في مجالات تتضمن تقنية النانو، وبصورة عامة، نمت التجارة بين روسيا وإسرائيل لتصل إلى مليار دولار سنوياً بحلول عام ٢٠٠٥ وازدادت بأكثر من ثلاثة أضعاف بحلول عام ٢٠١٤، إلى ما يقارب ال ٣,٥ مليار دولار.

وقد شهدت العلاقات العسكرية تحسناً أيضاً، ففي أواخر عام ٢٠١٥، ووفقاً لتقارير صحفية، باعت إسرائيل عشر طائرات استطلاع بدون طيار لروسيا، بالرغم من مخاوف إسرائيل بشأن العلاقات

العسكرية والسياسية التي تجمع روسيا بإيران، اضافة الى شراء اسرائيل لبعض أنواع الاسلحة الخفيفة الروسية.

وأخيراً، سعى بوتين إلى إشراك روسيا في عملية السلام في الشرق الأوسط، على أمل أن تحل محل الغرب وتبدو ببساطة كلاعب مهم. وفي الواقع، في عهد بوتين، أصبحت روسيا أكثر حزماً، وسَعت إلى أن تطبع بصماتها في عملية السلام منذ انضمامها إلى "اللجنة الرباعية الدولية" منذ أكثر من عقد. وفي حزيران ٢٠١٢، زار بوتين إسرائيل، وفي لقائه مع الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز في القدس، قال بوتين: "تقوم مصلحة روسيا الوطنية على توفير السلام والاستقرار في الشرق الأوسط، والسلام والاستقرار للشعب الإسرائيلي، وليس من باب الصدفة أن يكون الاتحاد السوفياتي من بين المبادرين والداعمين لإنشاء دولة إسرائيل"، وفقاً لإحدى مخطوطات الكرملين.

تجدر الاشارة الى أنه وفي اطار تبادل المصالح بين البلدين، في عام ٢٠١٠، وعلى إثر ضغوط من الغرب وإسرائيل، جمّدت موسكو عقداً بقيمة ٨٠٠ مليون دولار مع إيران لبيع نظام الدفاع الجوي "أس–٣٠٠" الذي قد يساعد على إسقاط الطائرات الحربية الأمريكية أو الإسرائيلية في حال تعرض المنشآت النووية الإيرانية لضربة جوية، وفي المقابل، امتنعت إسرائيل عن انتقاد تصرفات موسكو في الدول القريبة من روسيا خاصة في ما خص الأزمة الأوكرانية. على الرغم من تحسن العلاقات الثنائية، لا تزال هناك خلافات كبيرة. ففي آذار ٢٠٠٦، زار موسكو قادة من حركة «حماس» بدعوة من بوتين. ونفى بوتين أن تكون «حماس» منظمة إرهابية. وبالنسبة لإسرائيل، فإن علاقتها بروسيا تضمنت صعوبات رئيسية أخرى من بينها دعم موسكو لبرنامج إيران النووي وإتجارها بالأسلحة مع سوريا، مع احتمال أن تصل هذه الأسلحة إلى أيدي حزب الله اللبناني. وفي الواقع، واصلت موسكو دعم البرنامج النووي الإيراني بالرغم من المخاوف الغربية والإسرائيلية بأن هذه السياسة ستساعد إيران على تطوير سلاح نووي، الأمر الذي شكل عامل نقد اسرائيلي دائم للسياسات الروسية في المنطقة.

وفي وقت سابق، أعربت إسرائيل عن قلقها بشأن الاتفاق النووي الذي توصلت إليه «مجموعة الخمسة زائد واحد» مع إيران في تموز ٢٠١٥، في حين أشاد بوتين بهذا الاتفاق. وكان نتنياهو صريحاً جداً حول هذا الموضوع، مؤكداً أن إسرائيل ليست ملزمة بهذا الاتفاق وأنها ستدافع دائماً عن نفسها.

إن تدخل روسيا في سوريا جعل الوضع أكثر تعقيداً بالنسبة إلى إسرائيل، وقد اجتمع نتنياهو ببوتين في موسكو في ٢١ أيلول ٢٠١٥، وبدا أن ذلك الاجتماع قد بدد بعض المخاوف الإسرائيلية بشأن تدخل روسيا في سوريا. ففي أعقاب الاجتماع، قال نتنياهو: "في سوريا، حددتُ أهدافي، وهي حماية أمن شعبي وبلادي، لروسيا أهداف مختلفة، ولكنها لا ينبغي أن تتصادم مع أهداف إسرائيل". ومن المرجح أن تستمر روسيا وإسرائيل بالتعاون بينهما، وخاصة على الجبهتين الاقتصادية والعسكرية. وفي الواقع، ووفقاً لتقارير صحفية روسية وإسرائيلية، تعتزم الدولتان التوقيع على اتفاق منطقة تجارة حرة. ولكن في النهاية، يولي بوتين الأولوية للسياسات أكثر من أي شيء آخر، ويكون بذلك شوكة في خاصرة الغرب ويعمل على إضعافه على نطاق أوسع. وفي الواقع، إن مساعدة الرئيس الأسد على زيادة تدفقات اللاجئين إلى أوروبا تسمح لبوتين بتحقيق ذلك. كما أن بسط بوتين نفوذه في الشرق الأوسط بصورة عامة، وخصوصاً في سوريا، فيما يتراجع الغرب، يثير تساؤلات لدى إسرائيل ويشير بأن عليها توخي الحذر من أجل المحافظة على التوازن في منطقة معقدة وغير مستقرة على نحو متزايد.

ثانياً: الشراكة الاستراتيجية بين روسيا واسرائيل على الساحة السوريّة، وجهة نظر

إن اسرائيل ترى نفسها لاعبا" قويا" باستطاعته مآذارة هواياته في الحديقة الخلفية لموسكو، من خلال التلميح عن نوايا حقيقية، تتعلق بتقديم أسلحة ومعدات تكنولوجية حديثة إلى أوكرانيا وجورجيا وغيرهما. في كل جولة، كان يقوم بها رئيس الوزراء الإسرائيلي "بنيامين نتانياهو" إلى موسكو، كان نادراً ما يعود مكسور الخاطر، فالروس يجيدون تماما" فن اللعب على الكلام، ويعرفون كيف لا يستفزون ضيفهم، وحتى في حال اضطرارهم إلى التعبير صراحة عن بعض التوجهات التي تتعارض مع رغباته، خاصة في الشأنين الإيراني والسوري، كانت الخطوط الحمراء، وابرزها الامن القومي الاسرائيلي، حاضرة دائماً.

فمثلما حصل في السابق، عندما تمكنت القيادة الاسرائيلية من إقناع روسيا، بتقويض أو تأجيل صفقة الصواريخ الروسيّة S – 300 التي كان من المقرر تسليمها للمؤسسة العسكرية الإيرانية قبل عدّة أعوام من الآن، فقد تمكنت من إلزامها وفي ظل تعزيز حضورها العسكري في سوريا، بأن تأخذ الاحتياجات الإسرائيلية السياسية والأمنية بعين الاعتبار وبجدّيةٍ أكبر، عند تنفيذ سياساتها في الميدان السوري. هذا إلى جانب الحصول على تعهدات روسية بتفهم التحركات العسكرية الإسرائيلية، في المناطق

السورية والسماح باستغلال الوجود الروسي داخلها، بغية التنسيق الاستخباراتي بينهما، من أجل تفادي أي سوء تفاهم أو صدامات غير مقصودة، قد تنجم في المستقبل، حيث كان يتخوف من تأثير الدور الروسي على حرية حركة ونشاطات سلاح الجو الاسرائيلي العسكرية في المنطقة.

ما يعني، حسب رأي بعض المحللين، سماح روسيا بغارات إسرائيلية ضد أهداف سورية، وإن بحجة مكافحة إرسال السلاح باتجاه حزب الله ، وهذا ما تم بالفعل أكثر من مرة، حيث أغارت إسرائيل وبراحة تامة، على أهداف متفرقة تابعة للجيش السوري، أو لقوافل سلاح خاصة بالمقاومة اللبنانية.

إسرائيل وبرغم كل ما تقدم، لا تخفي شعورها بالقلق من زيادة التواجد الروسي على الاراضي السورية، والدور التسليحي للجيش السوري بأحدث أنواع الأسلحة، وفي ضوء شعورها بتناقص الدور الأمريكي في سوريا والمنطقة، لكنها ستمضي في جعل نفسها شريكة حقيقية لروسيا، سواء كان في المصالح أو الغايات أيضاً، برغم التناقض الظاهري بشأن الغاية الكبرى والمتعلّقة بمصير النظام السوري. لا بد من التركيز على أن الموقف الاسرائيلي من الازمة السورية يمكن تلخيصه، من وجهة نظر عدد من المفكرين في مركز بيغن للأبحاث الاستراتيجية بما يلي[٢٥]:

- إن اسرائيل لا تمانع في أن يتقاتل خصومها مع بعضهم البعض، وإن أي نتيجة للحرب السورية يمكنها ان تحد من النفوذ الروسي والايراني في سوريا هي نتيجة مرحب بها.
- يجب الاعتراف بأن الكثير من قضايا الامن القومي في شرق البحر الابيض المتوسط ستتأثر بنتائج الاحداث في سوريا، بما فيها احتياط الغاز الذي يحويه والذي في حال جرى تطويره بشكل سليم فإنه سيساعد اوروبا على أن تصبح اقل اعتمادا" على روسيا وتركيا.
- إن افضل نتيجة لإسرائيل بمعزل عمن يصل الى السلطة، هو نظام جديد لا يدعم ايران ويهتم بمشاكله الداخلية، كما أن الجيش السوري هو آخر جيش على حدود اسرائيل لديه فرقا" كاملة مدرعة ومشاة ومدفعية وقوات جوية، وإن تفككه امر جيد لإسرائيل.

وبالمقابل فإن روسيا، وبرغم إعلانها اكثر من مرة عن انتقادها، وإبداء ملاحظاتها بالنسبة لجملة السياسات الإسرائيلية ضد سوريا بذاتها، لكنها وكما يهمّها تحدّي التوازن الغربي في المنطقة وكسر الشوكة الأمريكية ، بالضغط على اسرائيل احيانا"، فإنه يهمّها بنفس الدرجة تقريباً، بأن تبقى إسرائيل

[٢٥] كليب، سامي، الاسد بين الرحيل والتدمير الممنهج، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٦، ص ٤٢٥.

قويّة، وحتى دون أيّة مراعاة لجهات عربية وإيرانية، وذلك لثقتها بأن إسرائيل قادرة على الحفاظ على مصالحها كشريكة استراتيجية، ولإدراكها بأن مئات الآلاف من سكان الاتحاد السوفياتي سابقاً ينطقون بالروسية ويقيمون في إسرائيل ويزاولون ثقافاتها أيضاً .أخيرا"، لعل تصريح السفير الروسي في تل ابيب بتاريخ ٨ شباط ٢٠١٧، عندما قال "إن روسيا تأخذ بعين الاعتبار مصالح الامن الاسرائيلي وتضمن عدم وصول اسلحة روسية الى حزب الله اللبناني[٢٦]، هو أوضح دليل فيما يخص الخطوط الحمراء الروسية تجاه الأمن القومي الاسرائيلي، أو لربما يمكن ادراج هذا التصريح في إطار سياسة اللعب على المواقف، التي تجيدها جيدا" القيادة الروسية الحالية، وتجدر الاشارة الى الرأي القائل بأن ما حدث وسيحدث من تداعيات التدخل الروسي في الأزمة السورية جاء بمعظمه لصالح إسرائيل تحديدا، فموسكو مثلا ، رغم وقوفها المعلن إلى جانب النظام في سوريا، لكن هذا الأخير لم يستفد عمليا وبالشكل الذي يناسبه من التدخل الروسي، بل إن إسرائيل كانت أكبر المستفيدين وان جلست في المقاعد الخلفية لإدارة الأزمة، وأن ثمة الكثير من المشاهد والدلالات المعبرة كانت تقدمها موسكو لإسرائيل مجانا وعلى حساب السوريين خاصة والعرب عامة، وقد برزت وشائج العلاقات وحميميتها بوضوح لدى التدقيق بالزيارات الأربع لرئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو مؤخرا" إلى موسكو ، والتي تعكس حقيقة العلاقات ورمزية البرغماتية الروسية في هذا المجال[٢٧].

الفقرة الثانية: العلاقات الروسية الايرانية

كانت العلاقات الايرانية الروسية خلال القرن العشرين معقدة على الدوام، بعد الحرب العالمية الثانية وبوجود قوات روسية منتشرة في شمال ايران، كان حزب الثورة الشيوعي قوياً وقد كاد ينجح في انشاء دولة مستقلة في شمال ايران في اوائل الخمسينات.

في العام ١٩٥٢ كان الشاه محمد رضا بهلوي يحكم ايران، وقدم قام رئيس الوزراء اليساري آنذاك المدعو محمد مصدق بانقلاب اطاح بالشاه، وقام بتأميم صناعة النفط التي كانت تحت السيطرة البريطانية وانحرف نحو السوفيات.

---

[٢٦] مقال بعنوان: موسكو تضمن عدم وصول أسلحة روسية الى حزب الله ، منشور على موقع internet 24 news الالكتروني، بتاريخ ٢٠١٧/٢/٧. الرابط: https://www.i24news.tv/ar/%D8%A3%D8%AE%D8%A8%D8%A7%D8%B1/middle-east/137181-

[٢٧] حسين، خليل، مقال بعنوان براغماتية السياسة الروسية في المنطقة، بيروت: ٢٠١٦/٧/١٥

وجه الاميركيون بقيادة آيزنهاور انذاراً الى الروس الذين سارعوا الى سحب قواتهم من الشمال وخفض دعمهم للثوريين ومصدق، وعمل الاميركيون بعدها على هندسة احتجاجات في الشارع الايراني ضد مصدق متهيمنه بأنه شيوعي، أدت الى إزاحته وعودة الشاه بهلوي الى الحكم والذي اصبح رهينة بيد الاميركيين، وقد تنازل البريطانيون عن بعض من امتيازاتهم الى الشركات الاميركية كلفتة شكر.

كانت هناك دائماً مشاكل بين روسيا وايران على الحقوق في بحر قزوين الذي يحتوي على النفط والغاز والثروة السمكية الهائلة والنادرة، وقد كان الروس حتى انهيار الاتحاد السوفياتي يمثلون كل الدول المحاذية لبحر قزوين ما عدا ايران.

ازدادت سلطة الشاه في فترة السبعينيات، خاصة مع ارتفاع اسعار النفط وزيادة المداخيل الايرانية منه، وازدياد قوة وتسليح الجيش الايراني، مما جعل الشاه يشعر بالعظمة وأنه قادر على التخلص من القيود البريطانية والاميركية التي فرضت عليه بعد عودته للحكم، وبحلول العام ١٩٧٦ بدأ الشاه يجنح الى اعادة العلاقات مع الاتحاد السوفياتي وفتش عن امكانيات للتعاون وتعهد بإمداد الجمهوريات السوفياتية الجنوبية بما تحتاج اليه من غاز عبر خطوط الانابيب التي بوشر العمل بها في العام ١٩٧٨.

في ذلك الوقت كانت المعارضة الايرانية للشاه بقيادة الامام الخميني تكبر، وكان المرض قد اضعف الشاه، وقد نجحت الثورة الايرانية في إزاحة الشاه، وتسلم الامام الخميني الحكم، وقد افتى مباشرة بعدم تصدير النفط والغاز الى الجمهوريات السوفياتية. لقد حكم الامام الخميني ايران لمدة عشر سنوات حتى وفاته في العام ١٩٨٩، وهي نفس الفترة التي احتل فيها السوفيات افغانستان، وقد كانت خلالها العلاقات الروسية الايرانية مجمدة، وكانت ايران تساعد في تدريب ما كان يعرف بالمجاهدين وارسالهم للقتال ضد الروس في افغانستان عبر حدودها الشمالية الشرقية[٢٨].

بعد انهيار الاتحاد السوفياتي سنة ١٩٩١، وإعادة الحريات الدينية الى المسلمين والمسيحيين في روسيا، أخذت العلاقات الروسية الايرانية بالتحسن تدريجيا" وصولا" الى ترشح بوتين للرئاسة حيث شهدت العلاقات أوجها، وقد وقعت العقود بين الطرفين لبناء عدد من المفاعلات النووية في ايران، وقد كان ثمة اجراءات اميركية تهدف للحد من قدرات ايران النووية، وقد خففت روسيا من اندفاعة اميركا في استصدار قرارات في مجلس الامن أكثر صرامة ضد ايران، وذلك من خلال حق النقض الفيتو.

[٢٨] اسكندر، مروان،الدب ينقلب نمرا"، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ٢٠١١، ص ٢٧٢

تطورت العلاقات بين الطرفين بشكل كبير حتى حلول العام ٢٠٠٨، عندما زار الرئيس بوتين ايران، وزار الرئيس الايراني احمدي نجاد روسيا، وأدت المصالح المتبادلة الى توقيع معاهدات تتعلق ببحر قزوين، ومساعدة الروس للإيرانيين في تطوير ثروة الغاز وبناء خطوط انابيب امداد الغاز الايراني الى باكستان والهند والصين[٢٩]. لقد كان من المقرر توقيع اتفاق صفقة تسليم ايران لمنظومة صواريخ مضادة للطائرات بصورته النهائية في آذار من العام ٢٠٠٦، بيد أن موسكو أوقفت المباحثات في كانون الثاني من العام ذاته، "لأسباب تتعلق بالملف النووي الإيراني"، وفي ٢٢ أيلول ٢٠١٠، أصدر الرئيس الروسي حينها، دميتري ميدفيديف، مرسوما حظر بموجبه تزويد إيران بهذه الصواريخ.

وإضافة للأبعاد السياسية، كانت هناك قيود فنية وعملية فرضت نفسها على قضية تزويد روسيا لإيران بهذه الصواريخ، فروسيا لا تملك كميات كبيرة منها، سيما وأنها تعهدت بتسليم عدد منها إلى بيلاروسيا، كما أبرمت اتفاقا مماثلا مع تركيا. وتمكنت روسيا من تصدير المزيد من هذه الصواريخ بعد أن أدخلت إلى الخدمة في جيشها منظومات إضافية من الصواريخ المتطورة.

في العام ٢٠١٥، زار الرئيس الروسي فلاديمير بوتين طهران، وقد شكّلت الزيارة محطة نوعية في تاريخ العلاقات الروسية–الإيرانية. وسبق لبوتين الاجتماع مع الرئيس الإيراني حسن روحاني في قمّة أستراخان التي تطرّقت بشكل أساسي إلى الوضع القانوني لبحر قزوين، وأجرى محادثات مغلقة مع روحاني تمحورت حول مشاريع الطاقة. وكان بوتين وروحاني قد تقابلا سابقاً، في أيلول ٢٠١٣ في اجتماع منظّمة شنغهاي للتعاون في قرغيزستان وفي أيار ٢٠١٤ في الصين.

اولاً: الاستراتيجية الروسية تجاه ايران

تمثل إيران مصدراً مهماً من مصادر العملة الصعبة باعتبارها من زبائن روسيا الاساسيين، وهي شريكتها في نفط بحر قزوين، كما أنها ممر محتمل لتصدير الحصة الروسية من نفط بحر قزوين الى موانئ بحر العرب مباشرة في طريقها الى افريقيا أو الشرق الأقصى.

تعد العلاقة ما بين روسيا وايران ذات انعكاسات متداخلة، فمن جهة تستفيد روسيا من عائدات مبيعاتها من السلاح الى ايران فضلا عن توظيف اليد العاملة الروسية، وتعد هذه المسألة الآن لروسيا الاكثر

[٢٩] نفس المرجع السابق، ص ٢٧٧.

اهمية في تبرير اصرارها على التعاون مع ايران، حيث حاجتها الشديدة الى العملات الصعبة وزيادة وارداتها منها، فضلا عن تأمين فرص عمل لعشرات الخبراء المتخصصين الروس.

إن العديد من التحركات والتوجهات الروسية تجاه ايران تعد نوعاً من المناورات والمساومات السياسية الرامية الى الضغط على الولايات المتحدة الاميركية والدول الغربية عموماً للحصول منها على اكبر قدر من التجاوب مع المطالب السياسية والاقتصادية والتجارية الروسية، من خلال السعي الى فتح مجالات جديدة للعلاقات مع الدول المناهضة والرافضة لسياسة الولايات المتحدة الاميركية، وذلك لمجرد الضغط عليها وعلى حلفائها الغربيين لانتزاع اكبر قدر من المساعدات المالية والاقتصادية فضلاً عن السياسية[٣٠].

في المحصلة النهائية، يبدو أن العلاقات الروسية الايرانية تصب في مصلحة الروس، فمن ناحية تستفيد روسيا من تعاونها مع ايران في المجال الدفاعي وتطوير التكنولوجيا النووية في الحصول على العملة الصعبة، بحجة أن هذا التعاون يتم لأغراض سلمية فقط، ومن ناحية اخرى تساوم من أجل تمرير مصالحها من قبل المجتمع الدولي، وعلى رأسها اميركا التي قد تقدم على المزيد من المساعدات لروسيا من أجل ثنيها عن التعاون مع الدول التي ترى فيها اميركا انها دول مهددة للسلام العالمي وللمصالح الاميركية[٣١].

من جهة اخرى، فإن إيران تعتبر نفسها لاعب أساسي في المنطقة وهي تستخدم علاقتها المتنامية مع روسيا للضغط على الإدارة الأمريكية لتسريع إنهاء العقوبات عليها خاصة أنها تتخوف من الإدارة الأمريكية الجديدة.

ثانياً: تداعيات العلاقة على الأزمة السورية

لقد عكست الأزمة السورية وتداعياتها السياسية وأيضاً الميدانية حجم الحضور الروسي في المنطقة، فروسيا التي ظلت بعد تفكك الاتحاد السوفيتي لأكثر من عقد من الزمان تبحث لنفسها عن مسار وجدت في الفراغ الذي تركته الولايات المتحدة وفي حاجة كل من إيران وسوريا إليها مخرجاً لها من محاولات العزل والتضييق التي فرضها الغرب عليها.

[٣٠] الامارة، لمى، الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩،ص ٣٨٥.
[٣١] نفس المرجع السابق، ص ٣٨٦.

وفي الوقت نفسه فإن روسيا تستغل علاقاتها مع إيران وتأثيرها في الأزمة السورية وتستخدمها كورقة جديدة في اللعب مع الغرب كما قال الكاتب الروسي دميتري يفستافييف، وتختلف مع إيران في مسألة بقاء الرئيس الأسد من عدمه فالذي يهم روسيا منفذها على البحر المتوسط ولا تمانع من قيام نظام فيدرالي في سوريا أما إيران فتعتبر بقاء الرئيس الأسد خطا أحمر ومسألة حياة أو موت ولا تسمح بتغيير نظام الحكم في سوريا.

وفي المحصلة النهائية فإن وجود روسيا في سوريا قلل من أهمية الدور الذي تلعبه إيران بل ويرى بعض المراقبين أن روسيا تعمل على بناء محور شرق أوسطي جديد يستتبع بالتدريج إيران ويرث مناطق نفوذها القديمة والتي تمتد عبر العراق فلبنان فسوريا وقد تمتد إلى اليمن في حال صمود الحوثيين أمام عاصفة الحزم التي يشنها التحالف العربي بقيادة السعودية. ولكن هذا السيناريو يبدو صعبا فروسيا اليوم تعيش أوضاعا اقتصادية صعبة ولها أزمات ووجود في أكثر من منطقة وهي تعلم أن اصطفافها مع إيران يجعلها تخسر أصدقاءها العرب الحاليين والمحتملين خاصة أن إيران بدأت بالتعاون العسكري مع الصين وما زالت تتطلع إلى الغرب الذي يملك التكنولوجيا القادرة على تطوير صناعة النفط وغيرها وهو ما لا يتوافر لدى روسيا كما أن إيران لم تعد ترغب بدور أكبر لروسيا في المنطقة يقلل من دورها وأيا كان حجم العلاقات الروسية الإيرانية الراهنة فإن إيران لن تجد شراكة حقيقية ومستقرة إلا مع محيطها العربي[٣٢] .

واليوم، ثمة تغير في مضامين العلاقات الروسية الإيرانية، بل وفي موقعها من خارطة التحالفات الخارجية لكلا البلدين. في هذا التحول، تقلص المنظور الإيراني لروسيا كمصدر للسلاح، حيث اتجه الإيرانيون كذلك إلى الصين، وقاموا في الوقت نفسه بتوسيع إنتاجهم الحربي المحلي.

من جهة أخرى، بدت ملفات دولية جديدة وقد فرضت نفسها بقوة على هذه العلاقات، وفي مقدمة ذلك الملفان السوري والعراقي، إضافة للملف الأفغاني، وعلى الرغم مما يُمكن اعتباره تفاوتا نسبيا في الرؤية، فإن الوضع السوري بات يُمثل أبرز ساحات التفاعل الإيراني الروسي في الساحة الدولية عامة، وهذا التفاعل يعكس نفسه على إجمالي المقاربة الدولية للأزمة السورية، بما في ذلك مستقبل التسوية السياسية المنشودة التي ترعاها الأمم المتحدة.

---

[٣٢] مقال بعنوان "العلاقات الإيرانية الروسية الراهنة" منشور على الموقع الالكتروني لصحيفة الشرق القطرية، بتاريخ ٢٠١٦/٨/٢٩، على الرابط التالي: https://www.al-sharq.com/opinion/29/08/2016/%D8.

الفقرة الثالثة: العلاقات الروسية التركية

اولاً: تاريخ العلاقات بين البلدين

اتسمت العلاقات الروسية التركية، وتحديدا" بين عامي ١٩٩١ و٢٠٠٢ ، بمزيج من التوتر وعدم الثقة والتعاون في مجالات مختلفة بينهما، بالرغم من أن تركيا كانت في مقدمة الدول التي اعترفت بروسيا الاتحادية كوارث للاتحاد السوفياتي بنفس تاريخ تفكك الاتحاد في كانون الاول من العام ١٩٩١، وفي العام ١٩٩٢ تم توقيع معاهدة العلاقات بين جمهورية تركيا والاتحاد الروسي بين رؤساء وزراء البلدين، حيث اعتبرت المعاهدة الاساس لمرحلة جديدة من العلاقات بين البلدين.[٣٣]

بعد فوز حزب العدالة والتنمية في الانتخابات البرلمانية في تركيا، زار رئيس الوزراء التركي رجب طيب اردوغان روسيا والتقى الرئيس بوتين، حيث أكد اردوغان ضرورة وقوف تركيا الى جانب روسيا في مواجهة الارهاب، في اشارة منه الى الاضطرابات في الشيشان، كذلك أعرب بوتين عن رضاه عن مستوى العلاقات بين البلدين.

بعد العام ٢٠٠٤ شهدت العلاقات تبادل زيارات على مستوى رفيع، وفي العام ٢٠٠٤ زار الرئيس بوتين تركيا لأول مرة، حيث التقى الرئيس التركي سيزر ورئيس الوزراء اردوغان وجرت مباحثات ثنائية شملت مواضيع التعاون في مجالات مختلفة كالدفاع والامن والطاقة ومكافحة الارهاب ونقل الطاقة عبر المضائق التركية وقضايا اقليمية من بينها قضايا الشرق الاوسط، تخللها توقيع العديد من الاتفاقيات الديبلوماسية والأمنيّة والاقتصادية، وقد رد اردوغان الزيارة بزيارتين الى موسكو في العام ٢٠٠٥ ناقش خلالهما قضايا مماثلة.

لقد شهدت الفترة الممتدة حتى العام ٢٠٠٨، توافق تركي روسي بشأن قضايا استراتيجية عديدة، لعل ابرزها الوقوف ضد سياسة الولايات المتحدة الاميركية في موضوع عزل كل من سوريا وايران، وضد محاولاتها الرامية الى تغيير الانظمة السياسية في الشرق الاوسط بواسطة القوة المسلحة، فتركيا كانت تخشى زعزعة الاستقرار في بيئتها الجيوسياسية، وروسيا كانت مهتمة بأبعاد الولايات المتحدة الاميركية عن مجالها الحيوي التقليدي، وفي أواخر العام ٢٠٠٨، شهدت العلاقات بين بين الطرفين توترا" بالغا، إبان الأزمة الجورجية، والموقف التركي من الاجتياح الروسي للأراضي الجورجية، حيث أقدمت روسيا

[٣٣] خولي، معمر، العلاقات التركية الروسية من ارث الماضي الى آفاق المستقبل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٤، ص ٩.

على قطع العلاقات التجارية مع تركيا ووجهت انذارا" لتركيا وحلف الناتو بسبب سماحها لسفن نووية تابعة لأسطول دول الناتو بالدخول الى منطقة البحر الاسود عبر المضائق التركية، وبعد قيام الناتو بسحب سفنه، عادت العلاقة بين البلدين تتجه نحو الحلحلة، حيث تكللت بزيارة وزير الدفاع الروسي الى تركيا في تشرين الثاني من العام نفسه.

استمر تطور العلاقات الديبلوماسية بين البلدين والتي اتخذت طابع الزيارات الرسمية المتبادلة على مستوى الرؤساء ورؤساء وزراء الدولتين والتي كانت تناقش قضايا استراتيجية بين البلدين. لقد شهد العام ٢٠١٠ ايضا" زيارات متبادلة بين رؤساء البلدين، ناقشت تطوير التعاون الاقتصادي والقضايا السياسية ذات الاهتمام المشترك، وفي العام ٢٠١١ زار رئيس الوزراء التركي رجب طيب اردوغان روسيا والتقى نظيره الروسي بوتين، حيث جرى التطرق الى القضايا الاقليمية والدولية ذات الاهتمام المشترك، كالملف النووي الايراني والصراع العربي الاسرائيلي.

ثانياً: أثر الأزمة السورية على العلاقة بين البلدين

على الرغم من التقارب الروسي التركي الذي عبرت عنه اللقاءات الديبلوماسية التي سلف ذكرها على المستويات كافة، وعلى مدى الاعوام السابقة، الا أن هناك تباينا" واضحا" في بعض القضايا الامنية ذات الاهتمام المشترك، منها ما يصل الى مستوى التناقض التام كما في ملف الأزمة السورية، وقبل التركيز على أثر التناقض بين تركيا وروسيا من هذه الأزمة، من المفيد الاشارة الى موقفيهما منها باختصار شديد، فبالنسبة الى الموقف التركي، لقد تدخلت تركيا عندما اندلعت الاحتجاجات الاولى بسرعة، وحاولت اقناع الرئيس السوري بشار الاسد بضرورة اجراء اصلاحات سياسية جوبهت بالرفض وبتشديد النظام الحاكم على قمع الاحتجاجات بالقوة، عندها اتخذت تركيا موقفا" حازما" على مستويين، الدعوة الى تخلي الرئيس السوري عن الحكم، وتقديم الدعم الديبلوماسي والعسكري للمعارضة السورية، واعلنت تأييدها واعترافها بما عرف بالائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، وسمحت لقيادة ما عرف بالجيش السوري الحر بالتمركز فوق اراضيها.

أما بالنسبة الى الموقف الروسي من الأزمة، فقد تمسكت بدعم النظام الحاكم وحالت دون صدور أي قرار اممي عن مجلس الامن يدينه من خلال استخدام حق النقض الفيتو أكثر من مرة، ذلك أن روسيا

لا تريد تريد أن تخسر قاعدتها العسكرية في طرطوس، ولا توريد السلاح الى سوريا، اضافة الى الرغبة في الحاق الضرر بجدول اعمال غربي يهدف الى تغيير الانظمة تحسبا" من وصوله الى حدودها.[٣٤]

لقد صاحب هذا التناقض في المواقف انتقادات متبادلة بين الطرفين، وقد بدا هذا التناقض واضحاً وعلنياً خلال المؤتمر الصحافي في اسطنبول، والذي ضم وزيري خارجية البلدين في نيسان من العام ٢٠١٣، وقد عبرت تصريحات وزير الخارجية الروسي عن مواقف مناهضة للسياسة التركية تجاه سوريا، وعلى الرغم من محاولات روسيا المختلفة في اتهام تركيا بالمسؤولية عن العنف المضاد ضد السلطة الحاكمة في سوريا، وعدم رضا تركيا عن المحاولات الروسية الهادفة الى فك العزلة الدولية عن النظام السوري الحاكم، فإن هذا التناقض لم يؤثر في التقارب بينهما على المستوى الاستراتيجي، حيث تسعى تركيا لأن تصبح مضخة لتدفقات النفط الروسي، كذلك فإن روسيا تسعى الى توثيق التعاون مع تركيا لأنها تساهم في دور مهم في منطقة الشرق الاوسط على اعتبار انها تشكل جسراً بين الشرق والغرب، والعلاقة الجيدة معها تحقق لروسيا اهدافاً اقتصادية وسياسية على حد سواء.

في حزيران من العام ٢٠١٢، أسقطت طائرة عسكرية تركية عند الحدود بين سوريا وتركيا، وبالرغم من أن بيان الخارجية السورية قال بأن الطائرة اسقطت عند اجتيازها الحدود بنيران رشاشات مضادة أرضية تابعة للجيش السوري، إلا أن معظم التقارير ذكرت بأن الطائرة اسقطت بصواريخ أرض جو روسية أطلقت من منظومات دفاع جوي روسية مركزة في ميناء اللاذقية السوري[٣٥]، وفي تصريح لرئيس الوزراء التركي رجب طيب اردوغان يومها حول الحادثة قال إن مطلقي النار كانوا يعرفون هوية الطائرة وهي لم تكن مسلحة وكانت تقوم بطلعات تدريبية، منتقداً بشدة تعمد اسقاطها، مشيراً الى أن "هذه الحوادث، أي الخروقات الجوية لا تعالج بإسقاط الطائرات".

وفي شهر تموز من نفس العام، زار الرئيس اردوغان روسيا حيث كان له موقف حازم من النظام السوري مع تشديده على عدم جواز خرق حرمة الاراضي السورية، وفي كانون الاول رد الرئيس الروسي بوتين الزيارة، والتي جاءت بعد وقوع سلسلة من الحوادث التي أثارت نوعا" من التوتر في العلاقات التركية الروسية، على خلفية الأزمة السورية ابرزها قيام تركيا بإجبار طائرة ركاب مدنية

[٣٤] خولي، معمر، المرجع السابق، ص ٧٢.

[٣٥] مقال بعنوان" روسيا وتركيا، عبئ التاريخ وحافز الاقتصاد"، منشور على الموقع الالكتروني لجريدة الحياة بتاريخ٢٠١٣/١/١٣، للكاتب أحمد دياب، على الرابط التالي:
http://www.alhayat.com/article/389452/%D8%B1%D9%88%D8%B3%D9%8A%D8%A7-.

سورية كانت تعبر اجوائها قادمة من روسيا، على الهبوط في مطار انقرة وتفتيشها بحجة احتوائها مواد عسكرية ممنوعة، الأمر الذي أثار حفيظة واعتراض السلطات الروسية، والأمر الآخر هو طلب تركيا من حلف الناتو نشر صواريخ على حدودها مع سوريا وهو ما رفضته بشدة السلطات الروسية معتبرة أنه يؤدي الى عسكرة الحدود التركية السورية بشكل كبير ويساهم في تعقيد الأزمة، وقد ذهبت التحليلات العسكرية الروسية بأن الهدف النهائي من نشر الصواريخ هو استخدامها لاستهداف الطائرات السورية مستقبلا"، أو لفرض حظر جوي أو شن هجوم بري عبر الاراضي التركية ضد سوريا، وقد رد الرئيس التركي اردوغان على التصريحات الروسية معتبرا" أنها تدخل في الشأن الداخلي التركي[٣٦].

في أيلول من العام ٢٠١٥، اطلقت القيادة الروسية عمليات جوية واسعة لأسطولها الجوي فوق الاراضي السورية، وفي تشرين الثاني اسقطت الدفاعات الجوية التركية مقاتلة سوخوي روسية عند اقترابها من الحدود التركية فوق الاراضي السورية، أقدمت روسيا على أثرها على وضع عقوبات اقتصادية ضد تركيا، وقد سارع بعدها الرئيس التركي رجب طيب أردوغان الى تقديم الاعتذار المباشر للرئيس الروسي على إسقاط المقاتلة الروسية، وقد أدى الاعتذار المذكور الى رفع موسكو لتلك العقوبات، حيث تساءل بعض المراقبين عن السبب الذي يجعل روسيا تتخذ مثل هذا القرار بسهولة مع دولة تعمدت إسقاط مقاتلتها، فضلًا عن أنها تربطها علاقات متوترة بها كانت قد وصلت إلى حد التهديد بشن حرب.

مما لا شك فيه أن من بين دوافع موسكو لالتقاط اعتذار الرئيس أردوغان، والتسريع في إجراءات تطبيع العلاقات، الحرص على عدم التفريط بسوق الغاز التركي، وعلى إحياء المشاريع الجيوسياسية المهمة مع تركيا، مثل مشروع "السيل التركي"، رغم التصريحات الرسمية التي تؤكد أنه من المبكر الحديث عن ذلك.

ويعتبر قرار موسكو رفع الحظر عن الرحلات السياحية إلى تركيا بمثابة إكسير للحياة للسياحة التركية، حيث وصل عدد السياح الروس في تركيا قبل الأزمة الدبلوماسية أكثر من ٣ ملايين سائح سنويا. ومن العوامل الأخرى التي دفعت الطرفين للإسراع في تطبيع العلاقات بينهما، تجديد العقوبات الاقتصادية الأوروبية ضد روسيا، مع الإشارة إلى أن تركيا لم تلتزم بفرض تلك العقوبات، رغم

[٣٦]خولي، معمر، المرجع السابق، ص ٩٢.

خلافاتها مع موسكو حول الملفين السوري والأوكراني. وتعد تركيا خامس أكبر شريك تجاري لروسيا، بما نسبته ٤,٥% من إجمالي التجارة الخارجية الروسية. وعليه فالعلاقة مع تركيا مهمة من أجل مساعي روسيا لإخراج اقتصادها من حالة الركود.

في الجانب الآخر، تبدو تركيا بحاجة ماسة للتبادل التجاري والتعاون الاقتصادي مع روسيا، لاسيما بعد أن أجل الاتحاد الأوروبي البت بإلغاء التأشيرة للمواطنين الأتراك، وليس من قبيل المبالغة القول إن الجوانب الاقتصادية والتجارية تلعب دور المحرك الأول للعلاقات بين البلدين.

يبدو أن أنقرة لم تعد تعارض من حيث المبدأ الوجود والتدخل العسكري الروسي في سوريا، فالانتقادات التركية تنصرف إلى المطالبة بضبطه على قاعدة تفاهمات بين موسكو وأنقرة، تضمن احترام المصالح التركية، مع التركيز المستمر على إفشال أي مشروع لإقامة كيان فيدرالي كردي على حدودها الجنوبية في أي مفاوضات سياسية مستقبلية، وهي المواضيع التي كانت مدار بحث بين الرئيسين الروسي والتركي رجب طيب اردوغان خلال زيارة الاخير الى روسيا في شهر تشرين الثاني من العام ٢٠١٧، وعقده لقاء" مع نظيره الروسي في مدينة سوتشي الروسية.

ومن الجدير بالذكر أن القضية الكردية لا تحتل أولوية بالنسبة لموسكو، ويمكن لتركيا أن تعمل إلى جانب إيران على تنسيق المواقف في محاربة الجماعات الانفصالية الكردية، في الداخل الإيراني والداخل التركي، وبلورة موقف روسي تركي إيراني موحد بخصوص الملف الكردي في سوريا.

الفقرة الرابعة: مستقبل العلاقات الروسية العربية

يثير تنامي الدور الروسي في الشرق الأوسط، خاصة بعد فرض روسيا نفسها كلاعب أساسي بعد الثبات في الميدان السوري، أسئلة عن مستقبل علاقات موسكو مع الدول العربية، وفي مقدمتها السؤال عن مدي إمكانات حدوث تقارب بين بلاد يفصلها عن موسكو تاريخ مثقل بالخلافات والتجاذبات، خاصة تلك التي نتجت عن الغزو السوفيتي لأفغانستان، وأخري لديها شكوك في الأهداف الحقيقية للدور الروسي المتزايد في المنطقة، فضلا عن أن شبكة العلاقات الأمريكية مع دول عربية عدة لا تزال مؤثرة وفاعلة، ويمكن أن تمثل عائقا أمام أي تقدم في العلاقات مع موسكو. فضلاً عن ذلك، فإنه لا العرب متفقون حول مطالبهم وأهدافهم من روسيا، ولا الروس علي استعداد للعب أدوار ضمن تحالف جديد يؤثر سلبا في روابطهم مع حلفاء تقليديين، مثل إيران والنظام السوري. ثم إن الجانب

العربي لم يحسم موقفه فيما يتعلق بحدود علاقاته بروسيا. وهذا الغموض في الموقف العربي سوف يستمر لفترة.

ويثير الانتباه أن تطور العلاقات العربية مع روسيا أخذ اتجاها مطردا وشاملا، ولم يقتصر علي الشق العسكري والنووي، حتي بالنسبة لدول الخليج التي أبرمت العديد من الاتفاقيات مع الروس في مجالات التعليم، والعلم، والتقنية، والفضاء، والسياحة، والطيران، والرحلات الجوية، فضلا عن المجالات الاقتصادية المختلفة[٣٧]. ويلفت الانتباه أن هذا المسار لا يزال مستمرا علي الرغم من الخلافات مع موسكو بشأن الأزمة السورية والتدخل الروسي في سوريا. كما يثير الانتباه قدرة العلاقات المصرية – الروسية علي تجاوز حادثة إسقاط الطائرة الروسية فوق سيناء في اواخر عام ٢٠١٥، واندفاع البلدين إلي مزيد من تعزيز العلاقات برغم جسامة الحادث. ويدلل كل ذلك علي أن هناك ضرورة تدركها الأطراف العربية المختلفة لبناء علاقات جديدة مع روسيا، وأن التفكير العربي في روسيا يتجاوز الخلافات السياسية، ويتجه لعدِّها قوة تأمين إضافية واحتياطية، في ظل أجواء الاضطراب في المشهد الإقليمي.

تمسك روسيا بالورقة الأهم في الموضوع السوري، الذي يشكل المناظرة الكبرى بالمنطقة حاليا، وسوف تكون روسيا مطالبة في الوصول إلي تسويات سياسية في موضوعات سوريا، واليمن، والعراق، وليبيا، أو في تطبيق هذه التسويات، أو ما بعد التسوية من عمليات إعادة بناء الدولة، وتكريس السلام الداخلي والأمن الوطني. ومن المرجح أن يكون من بين أهداف دول الخليج من التقارب مع روسيا استمالة "الدب الروسي"، والدخول في تفاهمات معه بشأن سوريا، بقصد تعزيز الوصول إلي تسوية تحفظ مصالح تلك الدول. ويمكن ترجيح أن تكون دول الخليج قد قررت انتهاج هذا الخيار. ومن المهم للدول العربية تقريب مواقفها فيما يتعلق بالدور المطلوب من روسيا في هذه الموضوعات، لأن تضارب المواقف العربية من شأنه أن يجعل روسيا أكثر خضوعا لمصالح شركائها التقليديين، وبدلا من هندسة دورها بما يتوافق مع المصالح العربية، تصبح اكثر تركيزا" على مصالح اطراف اخرى منضوية اكثر في فلكها كالنظام السوري وايران.

[٣٧] سلامة، معتز، مقال بعنوان" مستقبل العلاقات العربية - الروسية"، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٠٣.

المبحث الثالث: العلاقات الروسية السورية

تعود العلاقات الروسية السورية إلى العام ١٩٤٤ حين كان الاتحاد السوفياتي من أوائل الدول التي اعترفت باستقلال سوريا وأقامت علاقات دبلوماسية معها، وقد تعززت العلاقات السورية الروسية بشكل كبير لترتقي إلى مستوى التحالف الاستراتيجي مع وصول الرئيس السوري حافظ الأسد إلى سدة الحكم في عام ١٩٧٠، حيث تطورت العلاقات الاقتصادية، العسكرية، الثقافية والتعليمية بين البلدين بشكل كبير.

تاريخيا"، كانت سوريا من اقوى حلفاء موسكو، خلال فترة الحرب الباردة بين الشرق والغرب، وكان للأسطول البحري السوفياتي قاعدة تموين وصيانة في ميناء طرطوس، بموجب اتفاق موقع بين البلدين عام ١٩٧١. وقد توقفت البحرية الروسية عن استخدام هذه التسهيلات عقب انهيار الاتحاد السوفياتي.[٣٨]

تحاول روسيا الخروج من الضغط الذي تحاول أن تفرضه عليها الدول المجاورة بدعم من الولايات المتحدة الاميركية، فبعد تهديد اوكرانيا بطرد اسطول البحر الاسود الروسي من قاعدته في سيباستوبول، المسار الوحيد للبحرية الروسية نحو البحر الابيض المتوسط، وتزايد نشاط السفن البحرية التابعة لحلف شمال الاطلسي، بدأت روسيا بالتوجه نحو خيارات بديلة كان من بينها سوريا، وقد صرح قائد البحرية الروسية السابق ايغور كاستونوف، في اعقاب اجتماع عقد بين قادة بحريين روس وسوريين في العام ٢٠٠٨ ، بأن لطرطوس أهمية استراتيجية وجيوسياسية عظيمة كونها تضم المنشأة البحرية الروسية الوحيدة في الخارج[٣٩].

الفقرة الاولى: المصالح الاستراتيجية الروسية في سوريا

لقد حافظت روسيا على علاقتها مع سوريا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، ونتيجة التوجهات الروسية للحصول على منطقة نفوذ استراتيجية في الشرق الاوسط، توجهت الى تطوير علاقتها مع سوريا، مستفيدة من تصاعد الخلافات الاميركية السورية ونظرا للأهمية الجيوستراتيجية التي تمتلكها سوريا، فسوريا تطل على البحر الابيض المتوسط الى جانب محاذاتها لكل من اسرائيل والاردن والعراق وتركيا

[٣٨] الامارة، لمى، الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٣٨٤.

[٣٩] مقال بعنوان " طرطوس السورية، اول مركز للأسطول الروسي في المتوسط" منشور على موقع <www.syriahr.com بتاريخ ١٢-١٠-٢٠٠٨

ولبنان، فإن ذلك اعطاها مكانة متميزة في الاستراتيجية الدولية. وهناك مجموعة ابعاد تحكم الاستراتيجية الروسية في سوريا وهي:

أ-البعد الاقتصادي:

منذ بدء التعاون النشيط بين البلدين وقعت العديد من الاتفاقيات، اذ قام الاتحاد السوفياتي السابق بتشييد ٦٣ مشروعا"، من اهمها سلسلة المحطات الكهربائية على نهر الفرات، والعقود المائية مع المحطات الكهرومائية والكهروحرارية، اضافة الى بناء ١٥٠٠ كلم من السكك الحديدية، و٣٧٠٠ كلم من خطوط الكهرباء، وبناء عدد من منشآت الري وغيرها من المنشآت الحيوية. واكتشف الاتحاد السوفياتي حقول النفط في شمال شرق سوريا، وقام بإنشاء خطوط انابيب لنقل مشتقات النفط، ومعامل للأسمدة الكيميائية، مما سمح بتوفير نسبة ٢٢ بالمئة من الطاقة الكهربائية، و ٢٧ بالمئة من النفط، ومساحة ٧٠،٠٠٠ هكتار من الاراضي المروية.

لقد نمت العلاقات التجارية والاقتصادية بشكل لافت بين البلدين في السنوات الاخيرة، حيث بلغ حجم التبادل التجاري حوالي ٣،١ مليار دولار في العام ٢٠٠٩، كما يشكل حجم التبادل التجاري بين روسيا وسوريا حوالي ٢٠ بالمئة من حجم التبادل التجاري مع كل البلدان العربية[٤٠].

وبلغ حجم الصادرات من روسيا الى سوريا حوالي ٦٠٠ مليون دولار في العام ٢٠١٤، بينما بلغ حجم الصادرات السورية الى روسيا حوالي ٢٠ مليون دولار، ويعود سبب هذا الانخفاض الى العقوبات الدولية المفروضة على البلدين.

ب- البعد العسكري:

تعد سوريا واحدة من اهم اسواق السلاح الروسي، ففي عام ٢٠١٠ بلغت قيمة السلاح الروسي المباع الى سوريا اكثر من ٧٠٠ مليون دولار امريكي، وهو ما يشكل ٧ بالمئة من تجارة روسيا العسكرية، وبعد ذلك وحتى العام ٢٠١٣ بلغت قيمة الصفقات العسكرية من مبيعات الاسلحة الروسية مع سوريا حوالي اربعة مليارات دولار، وهذا يعد مؤشراً اقتصادياً كبيراً بالنسبة لروسيا الاتحادية.

[٤٠] النائلي، عناد، روسيا الاتحادية ومستقبل التوازن الاستراتيجي العالمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٧،ص ٢٦٥.

عندما نتحدث عن المصالح الحيوية بين روسيا وسوريا فإن أول ما يمكن أن يتبادر إلى الذهن العلاقات التجارية القائمة بين البلدين، ومن ضمنها مشتريات سوريا من السلاح الروسي. تبلغ التبادلات التجارية بين البلدين ما يقارب مليار ومئة مليون دولار، وفق إحصاءات العام ٢٠١٠، وتتخلّف عن التبادلات الروسية مع تركيا وإيران وإسرائيل ومصر. ولكنها ترتدي مع سوريا أهمية خاصة، نظرًا إلى العقود المبرمة مع الشركات الروسية المتخصّصة بصناعة الأسلحة، حيث تعتبر سوريا شريكًا أساسًيا لروسيا في مضمار استيراد السلاح الروسي، سواء في زمن الاتحاد السوفياتي أو مع روسيا الاتحادية بعد تفكّك الاتحاد. تجدّدت مبيعات الأسلحة الروسية لسوريا بعدما توصّلت الدولتان إلى إتفاقات حول الديون المترتّبة من الفترة السوفياتية العام ٢٠٠٥، وبقرار من الرئيس بوتين قضى بشطب ما يقارب ٨٠ % من الديون التي تجاوزت ١٣ مليار دولار أميركي.

تجدّدت عقود صفقات الأسلحة الروسية لسوريا، وخصوصًا مع الشركات الروسية التي تأثّرت بعملية شطب الديون السابقة. بلغت الواردات السورية من السلاح الروسي ٨ % من مجموع الصادرات الروسية، وهي في المرتبة الرابعة بعد الهند والجزائر وفيتنام، ولكنها عادت وتقدّمت إلى المرتبة الثانية العام ٢٠١١، حيث بلغت وارداتها ١٥%، أي أنها حلّت مباشرةً بعد الصين التي استوردت ٣٩ % من مجمل صادرات الأسلحة الروسية خلال العام المذكور.

تستورد سوريا من روسيا طائرات «ميغ ٢٩» المقاتلة وطائرات التدريب «ياك ١٣٠»، وصواريخ دفاع جو من طراز «بانتسير» و«بوك–م٢» أو ما يعرف غربيًا بـ«سام١٧–»، بالإضافة إلى دبابات «ت٧٢–» وصواريخ جوالة للدفاع البحري من طرازي «جوخنت وباستيون». وقدّرت قيمة هذه الصفقات بما يقارب ستة مليارات دولار. وكانت موسكو تتوقّع ارتفاع قيمة العقود الجديدة مع سوريا، بنسبة تعوّض فيها ما خسرته من توقّف عقودها مع ليبيا بعد الثورة[٤١].

تدرك روسيا مدى الخسائر التي ستلحق بها في حال سقوط النظام في سوريا، الأمر الذي يفسّر دوافع تمسّكها بالنظام، وبالتالي عدم إظهار أي مرونة في مجلس الأمن، بانتظار التوصّل إلى توافق مع الولايات المتحدة على إطار حلّ يؤمّن لها استمرار احترام مصالحها في سوريا، وعلى رأسها تجارة السلاح.

[٤١] نزار عبد القادر ، مقال بعنوان "روسيا والأزمة السورية: مصالح جيو – استراتيجية وتعقيدات مع الغرب"، مجلة الدفاع الوطني، العدد ٨٤ - نيسان ٢٠١٣ .

لكن، ليس هناك من خطر على المشتريات السورية من روسيا في المديين القريب والمتوسط، حيث تستمر حاجة سوريا إلى شراء المعدّات العسكرية وقطع البدل والصيانة لمختلف المنظومات الدفاعية التي تملكها منذ عقود.

الفقرة الثانية: نبذة عن تاريخ العلاقات السوفياتية السورية

امتازت العلاقة الروسية – السورية، على مر الزمن، بقدر كبير من الثبات والاستقرار والديمومة، حتى أن الكثير يصنف هذه العلاقة في إطار التحالف الاستراتيجي، حيث تعود هذه العلاقة إلى فترة نجاح الثورة البلشفية وبداية قيام الاتحاد السوفيتي عام ١٩١٧ ، فقد كانت أنظار الاتحاد السوفيتي تتجه نحو سوريا، كما الوطن العربي، وكان عربون الصداقة تجاه العرب هو تبني النظام الشيوعي الجديد، لمرسوم السلام ورفضه الدبلوماسية السرية، حيث كشف الاتحاد السوفيتي كافة الاتفاقيات والمعاهدات التي عقدت مع الدول الكبرى قبل الثورة، ولعل أهم هذه المعاهدات والاتفاقيات، معاهدة سايس – بيكو، والتي كشفها الاتحاد السوفيتي عام ١٩١٧ وفضح التواطؤ الانجليزي –الفرنسي في تقسيم الوطن العربي ما بينهما، ولعل الحكومة السوفيتية سعت لتفجير الثورة في المنطقة العربية عن طريق فضحها لخطط الاستعمار، حيث أن هذا السعي لقي آذانًا صاغية في المنطقة العربية، مستفيدين من دعم الاتحاد السوفياتي لأي حراك ثوري في العالم، مثلما حدث في سوريا عام ١٩١٩ ، فقد تضمنت وثائق "الوحدة العربية "أن العرب يعتبرون لينين وزملائه وثورتهم قوة جبارة قادرة على تحرير الشرق من الظلم الأوروبي، كما ان الاتحاد السوفيتي أعلن في عام ١٩٢٣ أنه لا يعترف بما يسمى الانتداب في سوريا وفلسطين، كما خاطب مؤتمر باكو المنعقد في الاتحاد السوفيتي والذي كان فيه ممثلون عن الشعوب العربية في محاولة للتحريض من أجل الثورة، وقد خاطبت الدعوة فلاحي سوريا والعالم العربي، كالتالي "يا فلاحي سوريا والبلدان العربية لقد وعدكم الفرنسيون والانجليز بالاستقلال، ولكن جيوشهم احتلت أراضيكم فارضة قوانينها، وأنتم بعدما تحررتم من السلطان التركي اصبحتم عبيدًا لحكومات باريس ولندن والفرق بين حكمها وحكم السلطان أنها تشدد عليكم الخناق أكثر فأكثر وأنتم تعلمون ذلك"، وكان على أثره صدور بيان من بعض الوطنيين السوريين في عام ١٩٢٠ جاء فيه" أن سعادة واستقرار كل العالم انما يعتمدان على اتحاد كل المسلمين مع البلاشفة"، واستمر اهتمام الاتحاد السوفيتي بالشأن السوري في تلك الفترة، حيث كانت الثورة السورية عام ١٩٢٥ محور اهتمام للسوفييت، ففي فترة الثلاثينات والأربعينات تنامى، بشكلٍ كبير، الوعي الوطني العربي وشكل في سوريا تكتل باسم الكتلة

الوطنية، دخل في مفاوضات طويلة مع الانتداب الفرنسي، أدت، بالنهاية، إلى تسلمه السلطة في عام ١٩٤٤.

كان الاتحاد السوفياتي السابق، من أولى الدول التي اعترفت باستقلال سوريا، حيث أقام علاقات دبلوماسية معها في عام ١٩٤٤ ، ولم يقف الأمر إلى هذا الحد، بل سعى الاتحاد السوفيتي بقوة إلى إدراج سوريا في قائمة الدول المؤسسة لهيئة الأمم المتحدة، على الرغم من المعارضة الغربية الشديدة لهذا المسعى، بالإضافة إلى أن الاتحاد السوفياتي، وبصفته عضو دائم في مجلس الأمن الدولي، قد دعم المطلب السوري سحب القوات الفرنسية منها في عام ١٩٤٦ الأمر الذي تم، فعلا"، في ذات العام، وهكذا استمرت العلاقة ما بين الدولتين بالتطور والاستمرارية، وقد زادت هذه العلاقة اتساعًا ومتانة بعد وصول الرئيس حافظ الأسد للسلطة في سوريا عام ١٩٧٠ ، وقد ساعد في ذلك التطور عاملٌ مهم جداً، وهو حادثة طرد السوفيات من مصر في السبعينات من القرن الماضي، إبان حكم الرئيس المصري الأسبق أنور السادات، حيث أن هذه الحادثة دفعت القادة السوفييت إلى ترسيخ علاقتها بالقوى التي أبدت ثباتًا في العلاقات الاستراتيجية معها، وقد كان كل من سوريا والعراق أقوى الدول المطروحة في المنطقة العربية، حيث كانتا تحت حكم حزب البعث، مما أدى إلى تدفق السلاح الروسي إلى الدولتين، بالإضافة إلى دعم سوفياتي كبير لسوريا سواء سياسيًا في المحافل الدولية، أو عسكريًا عن طريق مد سوريا بشتى أنواع الأسلحة، بالإضافة إلى الجانب الاقتصادي ودعم البنية التحتية السورية، مما أثر، إيجابيًا، على سوريا ومكانتها وأهميتها في المنطقة، وبشكلٍ عام، فإن العلاقة والتي تمتد لسنين طويلة ما بين الطرفين شهدت الكثير من التطورات والقفزات، الأمر الذي يدفع بالقول بأن العلاقة ما بين الطرفين تعدت وتجاوزت حدود العلاقة الجيدة ما بين أي دولتين، بل أنها علاقة تمثل تعاونًا استراتيجيًا قريبًا من التحالف بالإضافة إلى وجود رؤى مشتركة وتنسيق شامل فيما يتعلق بالأمور الدولية[٤٢].

من الناحية السياسية، فأنه، كما سبق الذكر، هناك علاقة متميزة ما بين الطرفين، فقد شكلت موسكو غطاء دوليًا وداعمًا أساسيًا لسوريا، فروسيا تعتبر أن هذا الدعم الذي تقدمه لسوريا يستند، بالمقام الأول، لمصلحة الشعبين؛ الروسي والسوري، بالإضافة إلى استناد هذا الدعم على مبدأ احترام سيادة الدول وأن هذا الدعم مبدئي وثابت، وعليه فإن روسيا أخذت على عاتقها دعم سوريا مما أسفر عن

[٤٢] العلاقات الروسية السورية ...موقع ويكيبيديا على شبكة الانترنت.

علاقات سياسية متميزة، وتعاون وثيق في شتى المجالات؛ العسكرية منها أو الاقتصادية أو الثقافية، وكما سبق ذكره، فإن العلاقة ما بين سوريا وروسيا توسعت وازدهرت بعد وصول الرئيس حافظ الأسد للسلطة في سوريا، حيث حافظت موسكو على علاقات تشبه التحالف ما بين الدولتين، حيث وقعت موسكو معاهدة تنص على التشاور ما بين الطرفين في حال وجود تهديد للسلام بالإضافة إلى التعاون العسكري[٤٣].

كان الصراع العربي الاسرائيلي، وخاصة في فترة الستينات وأوائل السبعينات المظهر الأساسي الأوسع للحرب الباردة ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وكانت سوريا، عمليًا، ثاني دولة عربية أهمية، بعد مصر، في معادلة الصراع العربي – الاسرائيلي، وعليه فإن سوريا لها أرض تحتلها إسرائيل منذ عام ١٩٦٧ ، واستمرت سوريا في معادلة الصراع العربي الاسرائيلي، واستمر أيضًا الدعم السوفياتي المقدم إلى سوريا؛ سياسيًا، اقتصاديًا، وعسكريًا، بحجم يوازي ومضاد للدعم الأمريكي اللامحدود لإسرائيل، حيث شكل هذا الدعم، وخاصة العسكري منه، لسوريا تحديًا كبيرًا لإسرائيل والغرب وخاصة الدعم الأمريكي لإسرائيل، بالإضافة إلى أن سوريا شكلت الحليف الأبرز والفعلي للاتحاد السوفياتي في المنطقة العربية بعد انضمام أنور السادات إلى المعسكر الأمريكي، وطرده للخبراء السوفييت من مصر، مما زاد العلاقة السياسية ما بين الطرفين قوة ومتانة.

الفقرة الثالثة: العلاقات الروسية السورية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي

استمرت العلاقات المتميزة بين الطرفين طيلة فترة حكم الاتحاد السوفياتي، وصولا" إلى التسعينات، حيث انهار الاتحاد السوفيتي في أوائل التسعينات، وتغيرت القيادة في الكرملين، ودخلت روسيا في دوامة الأزمات، خاصة الداخلية منها، على كافة المستويات؛ السياسية أو العسكرية أو الاقتصادية، حيث واجهت العديد من المعضلات في هذه الفترة التي سبق ذكرها، لذا فقد حصل برود عام في العلاقة ما بين سوريا وروسيا، وتغيرت صورة النظام العالمي حيث أصبح العالم أحادي القطبية، وأصبحت الولايات المتحدة تتحكم بمجريات الأمور في العالم، واستمر الأمر حتى بداية القرن الحالي، عندما تغيرت القيادة الروسية، وانُتخب الرئيس فلاديمير بوتين رئيسًا لروسيا في العام ٢٠٠٠ ، حيث بدأت القيادة الروسية الجديدة بتدارك الضعف الروسي الداخلي والخارجي، وبالتأكيد فإن المنطقة

[٤٣] ترينن، ديمتري، مقال بعنوان" التحالف الافتراضي :السياسة الروسية تجاه سوريا"، منشور على الموقع الالكتروني لمركز كارنيغي للشرق الأوسط، على الرابط التالي: http://carnegieendowment.org

العربية هي دائمًا، محور اهتمام روسيا، بحكم الجغرافيا السياسية، وحينها كانت الولايات المتحدة تفرض متغيرات كبيرة في المنطقة العربية والاسلامية، وأحدثت تطورات اقليمية كبيرة في هذه المنطقة، فقد احتلت العراق في عام ٢٠٠٣ ، وكانت، حينها، تهدد ايران وسوريا بالحرب وتغيير أنظمتها، وكانت، ولا زالت، على تحالف كامل مع دول عربية كبيرة كالسعودية، ومعظم دول الخليج العربي، وفرضت الولايات المتحدة وجودها بالقوة في العراق، ومن ناحية أخرى امتد الاتحاد الاوروبي وحلف الناتو إلى مناطق قريبة، جغرافيًا، من جنوب روسيا، في مناطق تمثل المجال الحيوي لروسيا، أي أن السياسة الأمريكية والأوروبية، تجاه المنطقة العربية وشرق أوروبا كانت بمثابة خنق جيوسياسي لروسيا، لذا فإن روسيا اختارت أن تحدث ثغرة في هذا الجدار الذي فرضته الولايات المتحدة، وفي منطقة تهتم بها الولايات المتحدة وهي المنطقة العربية، وقد اختار الروس أن تكون هذه الثغرة هي سوريا، وقد كان هذا الاختيار منطقيًا وطبيعيًا، حيث أن الأرضية جاهزة لإحياء علاقات الصداقة والتحالف، بحكم التاريخ المشترك بين الطرفين، بالإضافة إلى أنها الدولة العربية الوحيدة التي تجاهر بمعاداتها للولايات المتحدة وحلفائها، بعد خروج العراق من المعادلة في ٢٠٠٣ ، وحينها صدر تصريح بوتين الشهير" روسيا أظهرت الكثير من نقاط الضعف، وأن الوقت قد حان لإظهار نقاط القوة"، الأمر الذي يشير أن روسيا بدأت تلم شملها، وتنظر نحو مصالحها الاستراتيجية خاصة في مجالها الحيوي في شرق أوروبا والمنطقة العربية والاسلامية[٤٤].

مثَّل تطوير العلاقات ما بين سوريا وروسيا ضرورة ملحة للأخيرة في تلك الفترة، حيث تعرضت روسيا، كما سبق الذكر، لسياسة الخنق الاستراتيجي، في المنطقة العربية ومناطق شرق أوروبا، خاصة في أوكرانيا، عن طريق ظهور أحزاب مؤيدة للانضمام للاتحاد الأوروبي، ومعارضة للحكم الأوكراني الحليف لروسيا حينها، لذا فإنه كان من الضروري أن تبعث روسيا برسالة إلى الغرب أنها قادرة على كسر هذه السياسة، وأن على الغرب، وعلى رأسه الولايات المتحدة، أن يعيد النظر في سياساته تجاه روسيا، وكان ذلك عن طريق عقد صفقة أسلحة لسوريا، رغم المعارضة الأمريكية والإسرائيلية الشديدة لها، وإصرار روسي قوي على اتمام هذه الصفقة، واستعدادها لفتح باب الصفقات العسكرية مع دول عربية أخرى، ليس لعائد الصفقات المالي فقط؛ بل من أجل أن تخرق روسيا سياسة الولايات المتحدة والغرب تجاهها[٤٥]. استغلت سوريا، أيضًا، هذا التوجه الروسي نحوها، فهي، أيضًا، تحتاج لروسيا،

[٤٤] الامارة، لمى، مرجع سابق، ص ٣٧٨.
[٤٥] نفس المرجع السابق، الامارة، لمى، ص ٣٧٩.

كمظلة دولية مقابل الولايات المتحدة التي طالما هددت سوريا ونظامها السياسي، وأيضًا، بحاجة إلى روسيا في مجال التسلح لأنها تواجه العديد من الأخطار العسكرية، خاصة من إسرائيل التي تحتل أرض الجولان السوري، ولطالما كانت تعتدي على سوريا عسكريًا، وتوجه التهديدات لها، لذا فإن سوريا بأمس الحاجة لسلاح روسي تستطيع فيه أن تحمي نفسها في وجه التحديات، بالإضافة إلى أمور أخرى تعود بالنفع على الطرفين مثل التجارة والصناعة والتعاون في شتى المجالات.

استمر تطور العلاقات بين الطرفين واستمر عقد العديد من الاتفاقيات بينهما، والأهم هو تولد حالة من التنسيق والتفاهم المشترك بين الطرفين، في الأمور الإقليمية؛ سواء في إقليم المنطقة العربية أو الإقليم الروسي، والأمور الدولية بشكلٍ عام، حيث الرؤية المشتركة ما بين الطرفين، وهذا ما تأكد في زيارات المسؤولين المتبادلة، حيث زار الرئيس السوري بشار الأسد روسيا في العام ٢٠٠٥ ، وقد نتج عن هذه الزيارة، اتفاقيات سياسية واقتصادية، وأكد ، الطرفان حرصهما على التنسيق المشترك بما يخص الساحة الدولية، وتجسد ذلك في توقيع وثيقة الإعلان المشترك عام ٢٠٠٥ حول مواصلة تعميق علاقات الصداقة والتعاون، وكما أن الزيارة التي قام بها الرئيس السوري بشار الأسد إلى روسيا عام ٢٠٠٨ ، شكلت دافعًا مهمًا للأمام في العلاقات بين الطرفين حيث شهدت هذه الزيارة توقيع معاهدات كبيرة وصفقات سلاح لسوريا، وكان واضحًا الحرص، من الطرفين، على تطوير العلاقة الثنائية بشتى المجالات، كما زار الرئيس الروسي السابق ديمتري ميدفيدف سوريا عام ٢٠١٠ ، وسعت هذه الزيارة إلى رفع التعاون الاستراتيجي بين البلدين والتنسيق المشترك، كل هذا ولَّد رؤية متطابقة بما يخص القضايا الاقليمية والعالمية[٤٦]، كما أن روسيا ساندت سوريا كثيرًا على الصعيد الدولي، بالإضافة إلى أن سوريا أيضًا دعمت الموقف الروسي في كثير من القضايا، لعل أبرزها تأييدها بشكلٍ علني للعملية العسكرية الروسية في جورجيا عام ٢٠٠٨ ، وكانت سوريا من قلائل الدول التي أيدت، وبشكل علني وواضح، هذه العملية، كما أن سوريا لطالما أيدت لعب روسيا دورًا في شؤون المنطقة العربية والإسلامية السياسية ومنها قضية الصراع العربي الإسرائيلي، وبالإضافة إلى تأييدها لسياسات موسكو في الفضاء الاستراتيجي المحيط بها، مثل دعم وتأييد السياسات الروسية في الصراع الداخلي خاصة في الشيشان.

[46] Power, brad, ISIS, Putin special forces in Syria, lambert, New York, 2010, page 95.

أما في المجال العسكري، فهو مجال قوي في موضوع العلاقة الروسية – السورية، ذلك أن العلاقات امتازت بعراقتها وقدمها واستمراريتها ما بين الطرفين، فقد قدم الاتحاد السوفياتي السابق شتى أنواع الأسلحة لسوريا في مواجهتها لإسرائيل، كما أنه، وبعد تحول سوريا للحليف الفعلي الوحيد في المنطقة العربية لروسيا بعد خروج مصر في السبعينات، ازداد زخم التعاون العسكري بين الطرفين، حيث تحولت كافة الترسانة العسكرية السورية إلى أسلحة سوفياتية الصنع، وليس هذا فحسب، بل امتد التعاون العسكري إلى ما يفوق مجرد معاهدات وعقود توريد أسلحة وفقط، بل استضافت سوريا ما يصل إلى ٦٠٠٠ من المستشارين والفنيين العسكريين السوفييت، لتقديم كافة أشكال الدعم الفني والاستشارة العسكرية للجيش السوري، كما أن عشرات الآلاف من الطلاب السوريين قد تخرجوا من الجامعات والكليات والمعاهد العسكرية السوفيتية، ولعل من أهم تجليات قوة العلاقة العسكرية بين الطرفين هو وجود مركز الدعم المادي التقني للأسطول البحري السوفياتي في ميناء طرطوس السوري في عام ١٩٦٣ ، كما أنه، على الرغم من توقف الدعم العسكري الروسي لسوريا في التسعينات من القرن الماضي، إلا أنه بقي في سوريا عدد من المستشارين العسكريين الذين يمثلون روسيا الاتحادية، كما أن الدعم الروسي قد عاد عند تولي الرئيس بوتين الحكم فيها، وأعيد افتتاح القاعدة البحرية الروسية في ميناء طرطوس بعد اغلاقها وتوقفها عن العمل في التسعينات، كما أنه في عام ٢٠٠٥ ، وأثناء زيارة الرئيس السوري بشار الأسد لروسيا، شطبت روسيا ما نسبته ٧٣% من ديون سوريا الذي تراكم عليها منذ عهد حكم الاتحاد السوفيتي، نتيجة امداد الاتحاد السوفيتي لسوريا بكميات كبيرة من الأسلحة، وتم هذا الشطب من أجل احياء العلاقة العسكرية ما بين الطرفين، وكانت روسيا تحقق أهدافًا عالمية من وراء إعادة احياء العقود العسكرية بينها وبين سوريا، وتم احياء العلاقات العسكرية ما بين الطرفين، بالإضافة إلى توقيع العديد من صفقات الأسلحة ما بين الطرفين، وأبرزها، أيضًا، الصفقات الكبيرة في عام ٢٠٠٨ م، حيث قدمت روسيا العتاد الجديد للجيش السوري، بالإضافة إلى تقديم الخبراء العسكريين لسوريا من أجل الدعم والاستشارة وتعزيز التعاون المشترك[٤٧].

أما على الصعيد التجاري والاقتصادي، فقد كان لها نصيبها في العلاقة الروسية السورية، ذلك أن الاتحاد السوفيتي السابق نفذ ما يزيد عن ٦٠ مشروعًا ما بين الستينات وبداية التسعينات من القرن الماضي في سوريا، ومن أهم هذه المشاريع سد الفرات والذي أقامته سوريا بموجب قرض من الاتحاد السوفيتي بمبلغ ١٢٠ مليون روبل في عام ١٩٦٦ ، ويعتبر هذا السد من أهم المشاريع المائية

[٤٧] ترينن ديمتري ، مرجع سابق.

الكهربائية، كما أقيم في سوريا مجموعة كبيرة من المصانع المختلفة لإنتاج مختلف أنواع المنتوجات كالحديد والصلب، والألمنيوم والمواد الغذائية وغيرها الكثير من الصناعات، كما وقع الطرفان اتفاقية تعاون اقتصادي فني في عام ١٩٧٢ ، فقد قدمت موسكو الملايين لتمويل مشاريع النفط، كما أدى التعاون إلى إنشاء خطوط سكك حديدية يبلغ طولها ما يزيد عن ١٥٠ كم، حيث ربطت هذه السكك مناطق الانتاج الزراعي والموانئ السورية في الغرب، كما أن التبادل التجاري قوي جدًا بين الطرفين، حيث ينظم العلاقات التجارية عدد من الاتفاقيات والبروتكولات التجارية، مثل اتفاق عام ١٩٩٣ الموقع في دمشق بين الحكومتين، والذي ينص على التعاون التجاري والاقتصادي والفني، والذي نص، أيضًا، على تسهيل وتشجيع المبادلات التجارية ما بين الطرفين وتنمية التعاون الاقتصادي في كافة المجالات التجارية، بالإضافة إلى توقيع اتفاقية تجنب الازدواج الضريبي عام ٢٠٠٠ م[٤٨]، والتي أتاحت تطوير العلاقات التجارية والاقتصادية بين البلدين على صعيد القطاعين، العام والخاص، بالإضافة إلى توقيع اتفاق، بنفس العام، بين اتحاد غرف التجارة السورية وغرفة التجارة والصناعة في روسيا والتي أسهمت بدورها في تنمية وتوسيع علاقات العمل التجارية والاقتصادية بين رجال الأعمال في البلدين، وغيرها الكثير من الاتفاقيات والتي تنظم العلاقة التجارية والاقتصادية والتي بموجبها تزود روسيا سوريا بالمنتجات النفطية والمواد الكيميائية والمعادن والخشب والأنابيب وغيرها، كما أن سوريا تصدر لروسيا المنتجات الغذائية وصناعات خفيفة وغيرها، كما أن هناك تعاون نفطي كبير بين الطرفين، ليس في التبادل فحسب، بل، أيضًا، هناك شركات روسية تنقب عن النفط في سوريا، كما أن هناك تعاون روسي سوري قوي في مجال العلاقات الثقافية والعلمية، حيث وقع في عام ١٩٩٥ اتفاقية التعاون الثقافي والعلمي، وتعتبر هذه الاتفاقية قاعدة منظمة للعلاقات الثقافية والعلمية بين الطرفين، كما أن هناك عدد من الأساتذة الروس يعملون في دمشق، عدا عن عمليات تبادل الوفود والخبراء والعلماء بين الطرفين، كما أن الطرفين قد وقعا اتفاقية تسمى "التغتون" في المجال الثقافي، إلى جانب أن روسيا تخصص منحًا دراسية حكومية للطلبة السوريين الدارسين في روسيا، كما تقوم بإرسال بعثات أثرية روسية للتنقيب في مناطق أثرية سورية.

من كل ما سبق، نلمس أن هناك إشارة واضحة إلى قوة ومتانة وعراقة العلاقات الروسية – السورية، في كافة المجالات، ففي المجال السياسي نرى أن هناك تناغمًا واضحًا وتنسيقًا كاملا فيما يخص

[٤٨] الكفري، مصطفى، مقال بعنوان:" تطور العلاقات الاقتصادية السورية الروسية"، منشور على موقع كلية الاقتصاد في جامعة دمشق، على الرابط التالي: http://qpu.edu.sy/uploads/files/qasyoun_1540719344qg9jjbzI.pdf

القضايا الإقليمية والعالمية، وحتى نظرة الدولتين إلى ما يجب أن تكون عليه طبيعة النظام الدولي، عدا عن التناغم الدبلوماسي والدعم المتبادل سياسيًا، أما في المجال الاقتصادي فهو، أيضًا، له نصيبه الجيد من العلاقة، على الرغم من أن العلاقات الاقتصادية بين روسيا وبلدان أخرى، ومنها دول غربية أقوى بكثير منها من سوريا، إلا أنه جانب لا بأس به بالنظر إلى قدرات سوريا المتواضعة، نوعًا ما، في المجال الاقتصادي والصناعي، أما الجانب العسكري فهو من أكثر العلاقات حيوية ونشاطًا بين البلدين حيث تعتبر سوريا من أكبر المستوردين للسلاح الروسي في العالم، فسوريا تعتمد بشكل أساسي على السلاح الروسي في تسليح جيشها وتحديث ترسانتها.

ومن الجدير بالملاحظة أنه يوجد بين الطرفين العديد من العقود التي نفذت والتي لا زالت تَنفذ، كما أن العلاقة الثقافية والعلمية تسير بوتيرة جيدة ما بين الطرفين، كل هذا يدل على أن العلاقات الروسية – السورية تعتبر من العلاقات المميزة والتي تتعدى اطار العلاقات الدبلوماسية بين أي دولتين لتصل إلى درجة تحالف استراتيجي قوي.

الفقرة الرابعة: السياسة الخارجية الروسية تجاه سوريا بعد أزمة عام ٢٠١١

امتاز الموقف الروسي، من موجة" الربيع العربي"، بالكثير من التريث وعدم الوضوح، وحتى التزام الصمت حتى تتضح الأمور، وكان هناك توجهًا ثابتًا في الموقف نحو التذكير بأهمية أن يكون التغيير، إن حصل، بطريقة سلمية بعيدًا عن العنف، ونبذ العنف في البلدان العربية، ومثال هذا الحالة التونسية، التي تابعتها روسيا بتمعن، ولم تبد موقفًا واضحًا، إلا بعد تنحي زين العابدين بن علي، وكان الموقف لا يحمل تأييدًا لأي طرف على آخر، بل التمني بأن تستقر الأوضاع في تونس، كما أنها كانت حذرة في الموضوع المصري، وتمركز موقفها نحو الدعوة للحوار بين النظام والمعارضة في مصر، لكنها كانت تبدي ارتياحها عند تولي الجيش المصري الفترة الانتقالية وترى أن الأمور تستقر بذلك، كما أن روسيا التزمت الصمت والحياد والدعوة إلى الحوار في الحالتين اليمنية والبحرينية، لكن، عندما وصلت موجة الربيع العربي إلى سوريا، اتخذت روسيا موقفًا واضحًا وفي وقت مبكر، فقد اختارت روسيا دعم السلطة الحاكمة في سوريا، حيث دعمت النظام السوري، سياسيًا، دبلوماسيًا، وعسكريًا وبشكلٍ واضح.

كانت روسيا تثق بقوة الدولة السورية البنيوية، وقدرت منذ البداية أن الدولة السورية وعلى رأسها الرئيس بشار الأسد لديها القدرة على الاستمرار ولديها قدر كبير من القاعدة الشعبية، وأن سقوط النظام ليس

بالأمر الهين، وعلى الرغم من أنها تدعم هذا النظام، إلا أنها دائمًا ما تضع نفسها في موقف الوسيط بين السوريين، لأن لديها القناعة بأنه لا حل للأزمة السورية إلا بالحوار، فقد أكدت روسيا بأنه من حق الشعب السوري التغيير، حتى أن الرئيس الروسي السابق ديمتري ميدفيدف حّذر من أن موسكو قد تغير من موقفها تجاه سوريا في حال فشل النظام من فتح حوار مع المعارضة، فقد قال" ينتظر الرئيس الأسد مصير محزن ان لم يبدأ حوارًا مع المعارضة، ويباشر الاصلاحات"، لكن النظام السوري ومنذ بداية الأزمة أعلن عن عزمه أن يبدأ تطبيق حزمة من الاصلاحات وعلى مستويات عدة، ولعل أبرز وأهم ما في حزمة الاصلاحات هذه، السماح بتشكيل الأحزاب السياسية بعد تفرد حزب البعث لأكثر من ٤٠ عامًا، ومن جهتها فقد رحبت موسكو بحزمة الاصلاحات هذه، بل ورأت ضرورة منح الحكومة السورية الوقت لتطبيق الاصلاحات التي تم الاعلان عنها، ورفضت كافة الدعوات الغربية الداعية لتنحي الرئيس السوري بشار الأسد، وقد سعت روسيا إلى القيام باتصالات مع المعارضة السورية وتم ذلك بترحيب من النظام السوري، حيث يعتبر النظام السوري روسيا وسيطًا نزيهًا للتوسط.

من المعروف تحول الحراك السوري، سريعًا، إلى الصدام مسلح، عندما بدأ استخدام العنف المتبادل بين المعارضة والجيش السوري، بالإضافة إلى تحميل الغرب المسؤولية كاملة للنظام السوري عن العنف الدائر، واغلاق موضوع الحل السياسي للأزمة، حيث قال جميع زعماء الغرب أنه لا حل سياسيًا للأزمة السورية ويجب على الرئيس السوري أن يتنحى، الأمر الذي تراجعت عنه لاحقًا، عدا عن اختيار الغرب وحلفائه الاقليميين تسليح المعارضة السورية ودعم الحل العسكري ضد النظام، في حين أن روسيا حملت المسؤولية للنظام والمعارضة، معًا، فقد رأت روسيا أن ما يحدث في سوريا هو حرب أهلية، كما انتقدت روسيا التدخل الخارجي في الشأن السوري خاصة في موضوع التسليح، ورأت فيه زعزعة لاستقرار المنطقة، وترى فيه، أيضًا، عدوانًا غربيًا مبطنًا ضد سوريا، ولعل الدعم الخارجي هو ما زاد من التصلب الروسي في الشأن السوري.

أيقنت روسيا أن ما يحصل في سوريا ليس ثورة شعبية تسعى من أجل الديمقراطية، بل عبارة عن عدوان خارجي ضد سوريا، هذا من وجهة النظر الروسية، كما أنها أكدت منذ بداية الأزمة والصدام المسلح أن هناك طرفًا ثالثًا يحمل السلاح، غير النظام والمعارضة، وهي القاعدة والتنظيمات القريبة منها، واعتبرت هذا تهديدًا لسورية والمنطقة، وهذا ما أكده الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، في مقاله عن الأزمة السورية الموجه للشعب الأمريكي في عام ٢٠١٣ ، حيث قال" سوريا لا تشهد معركة من أجل الديمقراطية، ولكنها تشهد نزاعًا مسلحًا بين الحكومة والمعارضة في بلد متعدد الديانات ...ويوجد

هناك أكثر مما يكفي من مقاتلي القاعدة والمتطرفين من كل المشارب، الذين يقاتلون النظام... فهذا الصراع الداخلي تغذيه الأسلحة الأجنبية الموردة للمعارضة"، كما قال في مقاله" المقاتلون هناك من مرتزقة الدول العربية ومن المتشددين الموجودين في الدول الغربية وحتى الروسية".[٤٩]

إلى جانب الدعم العسكري الذي يوجهه الغرب وحلفاؤه الإقليميين ضد النظام السوري، فقد عمدوا إلى استخدام الضغط السياسي عن طريق الأمم المتحدة و مجلس الأمن الدولي، وجامعة الدول العربية، الأمر الذي رفضته روسيا بتاتًا، فقد أكدت، مرارًا وتكرارًا، أنها لن تؤيد قرارًا دوليًا يصدره مجلس الأمن الدولي ضد سوريا، متعلمة من الدرس الليبي، وبالفعل عارضت روسيا ورفعت الفيتو بوجه قرارات كثيرة طرحت في مجلس الأمن الدولي ضد سوريا، أو يدين هذا النظام، أو يدعو إلى عمل عسكري ضده، وحتى أنها عارضت قرارًا في الجمعية العامة أعدته السعودية عام ٢٠١٢ والذي تضمن إدانة استخدام العنف الذي تآذاره الحكومة السورية، بالإضافة إلى أنها انتقدت قرار جامعة الدول العربية الصادر عام٢٠١٢ الذي يدعو إلى" تنحي بشار الأسد وتأليف حكومة انتقالية"، ورأت روسيا أن هذا القرار لا يساهم في تسوية الأزمة ويغلق الباب أمام أي حديث عن الاصلاح السياسي.

تسعى روسيا بشكلٍ دؤوب غير يائس، بكافة الطرق الدبلوماسية، للوصول إلى حل سياسي للأزمة السورية، فعدا عن توسطها الدائم بين النظام والمعارضة، فقد استخدمت دبلوماسيتها في منع الولايات المتحدة من توجيه ضربة عسكرية للنظام السوري عقب اتهام الولايات المتحدة للنظام باستخدام السلاح الكيميائي ضد المدنيين، وقد توصلت إلى اتفاق روسي أمريكي على نزع السلاح الكيميائي السوري مقابل عدم ضرب سوريا، كما أنها دعمت، بشكلٍ كبير، خطة المبعوث الأممي والعربي كوفي آنان لسوريا، وبعده الأخضر الابراهيمي، حتى أنها دعمت توحيد المعارضة السورية، وطرحت فكرة إقامة مؤتمر دولي تحت رعاية الأمم المتحدة يتعلق بسوريا، يشارك فيه لاعبون اقليميون، لا يستثني أحدًا، عكس استثناء الولايات المتحدة لإيران من أي مؤتمر متعلق بسوريا، مع أنها لاعب مؤثر في مجريات الأمور في سوريا، لهذا فإن روسيا لم تشارك فيما يسمى مؤتمر أصدقاء سوريا، لأنه، من وجهة نظرها، لا يسعى لتوحيد المعارضة السورية والسعي للوصول إلى حل سياسي للازمة بل إنه مؤتمر يسعى إلى خلق المزيد من الذرائع لإطاحة الحكومة السورية، ودعم المعارضة الخارجية فقط.

---

[٤٩] مقال للرئيس الروسي عن الأزمة السورية في جريدة نيويورك تايمز، منشور على موقع وكالة معا" الاخبارية الالكتروني، بتاريخ ٢٠١٣/٩/١٤ على الرابط التالي: http://www.maannews.net/Content.aspx?id=629708

كما أن هناك أشكال عديدة من الدعم قدمتها روسيا لسوريا، حيث عارضت روسيا العقوبات الأمريكية والأوروبية على سورية، وقد استمرت في علاقاتها الاقتصادية والتجارية وحتى العسكرية معها، وقامت بدعمها بوجه العقوبات، حيث قدمت روسيا في عام 2012 قرضًا بالعملة الصعبة إلى سوريا، كما استمرت بتصدير النفط ومشتقاته لها، وبعد ايقاف البنك المركزي النمساوي لطبع الأوراق النقدية السورية، طبعت روسيا أوراق نقدية سورية جديدة، وأما من الجانب العسكري فقد استمرت روسيا بتوريد السلاح لسوريا، وذلك بموجب العقود السابقة، لكنها أكدت أن السلاح المقدم لسوريا هو سلاح دفاعي لا يمكن استخدامه ضد متظاهرين سلميين، بل أنها تمد سوريا بالسلاح الذي يؤهلها لصد العدوان الخارجي، مؤكدة أنها تعمل ضمن القانون الدولي في هذا المجال، عكس الولايات المتحدة والغرب وحلفائهما الذين ينتهكون القانون الدولي بتقديمهم السلاح للمسلحين في سوريا، من وجهة نظر روسيا. هناك جانب مهم، لطالما أكدت عليه روسيا في الموضوع السوري، وهو أنها تعمل وفق القانون الدولي وأنها تحمي هذا الأمر ولن تسمح بتجاوزه حيث أكد ذلك الرئيس الروسي بوتين حيث قال" نحن لا نحمي الحكومة السورية، ولكننا نحمي القانون الدولي"[٥٠].

الفقرة الخامسة: العوامل المسببة للموقف الروسي من سوريا

لقد نشر مركز بحوث الشرق الأوسط في معهد العلاقات الدولية التابع لوزارة الخارجية الروسية، وثيقة بعنوان" المصالح الروسية في منطقة الشرق الأوسط، وذلك في عام ٢٠١٢ ، أي في وقت كان الربيع العربي على أشده، وفيما يتعلق بالشأن الروسي، فوفق الوثيقة فإن الاستراتيجية الروسية تجاه سوريا تقوم على ثلاثة ركائز هي:

١- العمل في المجال الدولي لمنع الولايات المتحدة وحلفائها من تكرار المشهد الليبي على الأرض السورية، وتجريد أي تدخل خارجي من شرعيته.

٢- الاستمرار في الحفاظ على علاقات وطيدة مع النظام السوري، مع تجنب ضغوط عنيفة عليه للقيام بخطوات إصلاحية، والاكتفاء بالأساليب الدبلوماسية، مع مواصلة تنشيط العلاقات الاقتصادية، السياسية والعسكرية مع النظام.

---

[٥٠] بوتين، فلاديمير :وكالة معا الاخبارية .**مرجع سابق**

٣- السعي للترويج لحل الأزمة السورية عن طريق الحوار بين المعارضة والنظام، بما يضمن عدم إقصاء أي من الأطراف الفاعلة في سوريا، سواء من المعارضة أو النظام، وتطوير علاقات متوازنة مع المعارضة السورية في الوقت ذاته [٥١].

هذه النقاط، تلخص الأسس التي تتعامل على أساسها روسيا مع الأزمة السورية، كما تشكل مفتاحًا لفهم السياسة الروسية تجاه تطورات الأوضاع في سوريا، فهذه النقاط، هي مفاهيم وقناعة روسية ثابتة تتعامل على أساسها منذ بداية الأزمة في سوريا، أما بالنسبة للعوامل الدافعة لمثل هذا الموقف الروسي تجاه سوريا فتتمثل بعدة نقاط:

أولاً :العوامل الجيوستراتيجية

لدى موسكو نظرة دائمة، ومنذ زمن، أن الولايات المتحدة والغرب يستهدفون روسيا بشكلٍ دائم، ويحاولون تضييق الخناق عليها؛ سواء في الداخل الروسي أو فضائها الاستراتيجي، لذا، ولأن سوريا حليفًا لروسيا في المنطقة العربية، فهي تتعرض للاستهداف بصورة تشبه صورة الثورات الملونة التي حاولت الولايات المتحدة، عن طريقها، إجراء تغييرات في دول المجال الحيوي الروسي، وليس سوريا فحسب، فروسيا تنظر إلى أن الولايات المتحدة تسعى إلى إعادة رسم خارطة المنطقة العربية والإسلامية؛ جغرافيًا وسياسيًا، من خلال إضعاف القوى الإقليمية سواء العربية أو غير العربية، من أجل حفظ المصالح الأمريكية فإن سوريا تشكل، من وجهة النظر الروسية، حلقة مهمة في هذا المخطط، حيث أن تكرار السيناريو الليبي، والذي استخدم فيه قرار حماية المدنيين، ذريعة من أجل تغيير النظام الحاكم، وعليه، فإن تكرار هذا الأمر في سوريا يكرس عرفًا دوليًا جديدًا تخترعه الولايات المتحدة من أجل تغيير الأنظمة الحاكمة المعارضة لها تحت حجة حماية المدنيين، وبالتالي تشكيل خرائط جيوستراتيجية مناسبة للولايات المتحدة، بالإضافة إلى هذا، مكانة وموقع سوريا المميزين، حيث أن سوريا تشكل منطلقًا مثاليًا لإعادة رسم الخارطة الجيوستراتيجية، حيث موقعها المميز والمهم جغرافيًا، بالإضافة إلى شبكة تحالفات سوريا في المنطقة. فمن جهة هي تشكل شريان الحياة بالنسبة لحزب الله اللبناني والذي له مكانة وثقل ووزن في الصراع العربي الإسرائيلي لا يستهان بها، وفي الداخل اللبناني، وبالإضافة إلى التحالف المتين الذي يجمع بين سوريا والجمهورية الاسلامية في ايران، لذا، فلدى روسيا قناعة بأن سوريا ليست المستهدفة الوحيدة من هذا المخطط، بل أنه مخطط يستهدف حلفاء سوريا، وخاصة ايران، وقد تشكل الأحداث في سوريا فرصة لتوجيه ضربة سياسية

[٥١] مقال بعنوان "المصالح الروسية في الشرق الأوسط"، منشور على موقع روسيا اليوم على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٠١٤/٦/١١.

لإيران بخسارتها حليفتها في الوطن العربي، وحيث قال وزير الخارجية الروسي سيرغي لافروف "المطالبة بتغيير النظام في سوريا حلقة في لعبة جيوسياسية تقصد إيران أيضًا[٥٢]"، كما أنه من وجهة النظر الروسية، فإن سقوط النظام في سوريا مقدمة لاستهداف روسيا نفسها، حيث أن سقوط النظام السوري يعني خروج روسيا بشكل شبه كامل من المنطقة العربية، حيث ستفقد روسيا حليفها القوي والحقيقي والوحيد في المنطقة العربية، بالإضافة إلى أن سقوط النظام السوري يعني فقدان الحليف القوي والوحيد لإيران في المنطقة العربية، ومن المعروف أن هناك علاقة قوية ومتينة تجمع روسيا وإيران، لذا فإن إيران ستكون في خطر أمام خسارة حليفها وتوسع النفوذ الأمريكي في المنطقة، بالإضافة إلى أن إيران وسوريا يشكلان خطًا أماميًا بالنسبة لجنوب روسيا أمام التوسع الأمريكي، وفقدان أي بلد من البلدين يعني أن جبهة المواجهة مع الغرب تقترب من الحدود الروسية، بالإضافة إلى اقتراب النفوذ الأمريكي من آسيا الوسطى ودول القوقاز، المنطقة التي تشكل مجالا حيويًا بالنسبة لروسيا، أي بشكل عام، اقتراب خط المواجهة مع الولايات المتحدة إلى الحدود الروسية .

عدا عن ذلك كله، فإن الموقف الروسي من الأزمة السورية دشن وبدأ يشكل نهاية القطبية الأحادية في العالم؛ فروسيا أجبرت الولايات المتحدة على الأخذ بالاعتبار المصالح الروسية سواء في الأزمة السورية أو في القضايا العالمية الأخرى، ذلك لأن روسيا ومعها الصين وقفت بوجه الولايات المتحدة وحلفائها في الموضوع السوري، وبرز ذلك بشدة عند استخدام روسيا مع الصين حق النقض" الفيتو 3 " مرات، أفشلا من خلاله قرارات دولية ضد النظام السوري، وبذلك تجلى تأكيد روسيا أنها لاعب مهم وقوة دولية لا يستهان بها، وأنها سئمت من أحادية القطبية، وأن لها مصالح في العالم يجب أن تحترم، وأن الغرب إن أراد أن يحل الأزمة السورية، فذلك لن يتم إلا بحل مشترك تكون فيه روسيا طرفًا أساسيًا فيه، وأن يراعي هذا الحل المصالح الروسية، لذا فإن باب شرعنة عمل عسكري ضد النظام السوري باب مغلق من قبل روسيا، وإن قررت الولايات المتحدة أن تفعلها خارج اطار الشرعية القانونية الدولية، فإن ثمنه سيكون غاليًا ومكلفًا للولايات المتحدة، هذا إن سمحت به روسيا أصلا".

كما أن روسيا تسعى من خلال سياستها بالمنطقة العربية والاسلامية، إلى منع توسع الجماعات الإسلامية؛ لأن توسعها يعني قرب هذه الجماعات من حدود روسيا الجنوبية، الأمر الذي لا تريده موسكو بشدة، خاصة وأن لها تجربة مريرة مع مثل هذه الجماعات في الشيشان والقوقاز، أي أنها تسعى للحفاظ على أمنها من خطر الجماعات الإسلامية الناشطة في سوريا.

[٥٢] مجموعة مؤلفين، التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٤، ص ١٥٠.

ثانيًا :عامل المصلحة

من المعلوم أن هناك مصالح لروسيا في المنطقة العربية، وأن هذه المصالح في طور النمو التصاعدي، ومن المعلوم، أيضًا، أن استقرار المنطقة ركيزة هامة من أجل ضمان استمرار هذه المصالح بالنمو، وهذه هي النظرة الروسية، بشكلٍ عام، والتي تقول أن استقرار المنطقة هو حجر الزاوية في حماية مصالحها المتنامية في المنطقة، وهذه النظرة، الروسية، تأتي معاكسة للنظرة الأمريكية مخترعة نظرية" الفوضى الخلاقة"، حيث أن الولايات المتحدة ترى بالفوضى التي تعصف بالمنطقة العربية أنها حماية لمصالحها، وإن أردنا أن نلقي نظرة على طبيعة المصالح الروسية في المنطقة العربية، فسنرى أنها ترتبط بثلاثة قطاعات رئيسية؛ قطاع الطاقة، القطاع العسكري والقطاع التقني[٥٣].

يعتبر مجال الطاقة من المجالات الهامة في روسيا، حيث أن روسيا من أهم موردي الطاقة على المستوى العالمي، ولهذا يعتبر التعاون والتنسيق في مجال الطاقة مع الدول العربية من أهم أولويات السياسة الروسية تجاه المنطقة العربية، مع الأخذ بعين الاعتبار المخزون النفطي الهائل في المنطقة العربية، بالإضافة إلى طبيعة المنطقة العربية التي تمتاز دولها بأنها مستهلكة لذا فإنها تمثل سوقًا استيعابيًا كبيرًا، لذا تسعى روسيا لأن توسع تصديرها للعديد من المنتجات للعرب، لذا فإن استقرار المنطقة العربية ضروري من أجل هذه المصالح المتصاعدة، بالإضافة إلى كل ذلك؛ فإن روسيا من كبار مصدري السلاح في العالم، ولهذا فإنها سعت وتسعى من أجل زيادة تصديرها للأسلحة للمنطقة العربية، وهذا أمر تم التطرق له سابقًا، لكن المصالح الروسية، بشكلٍ عام، تتعاظم مع سوريا، حيث توجد فيها قاعدة طرطوس البحرية الروسية والتي تتيح للسفن الروسية في البحر المتوسط والبحر الأحمر بالتزود بالوقود والمؤن والامداد، ومن الواضح أن روسيا لا تنوي التخلي عن القاعدة، بالإضافة إلى تمسك سوريا بالوجود العسكري الروسي فيها، وبالمنطقة بشكلٍ عام، من أجل تحقيق التوازن مع الولايات المتحدة من ناحية التواجد العسكري، بالإضافة إلى مبيعات السلاح الروسي إلى سوريا، حيث تعتبر، سوريا، المستورد الأكبر للسلاح الروسي عربيًا، يضاف إلى هذا التبادل التجاري بين البدين.

ثالثًا :عدم الثقة بالولايات المتحدة

[٥٣] الخوري، جورج، مقال بعنوان: السياسة الخارجية الجديدة لروسيا وتأثيرها على دول الشرق الأوسط ولبنان، مجلة الدفاع الوطني، العدد ١٠٥، تموز ٢٠١٨.

أكدت التجارب بين روسيا والولايات المتحدة الأمريكية خاصة، والغرب عامة، أن الغرب والولايات المتحدة لا يحترمون وعودهم وتعهداتهم، وأن أي تفاهم مع الولايات المتحدة سيرتد على روسيا بالضرر على مصالحها، ولعل أقرب مثال ما حصل في ليبيا، حيث تحول قراري مجلس الأمن رقم ١٩٧٠ و ١٩٧٣[٥٤] الصادرين بخصوص ليبيا، والذين يقضيان بفرض منطقة حظر جوي فوق ليبيا فقط، أي تدمير الطيران الليبي في حالة تحليقه وضرب المضادات الأرضية في حال اعترضت الطائرات الدولية التي تطبق القرار إلى قرار بالحرب على النظام الليبي الذي ضرب بقوة من قبل حلف الناتو، ما أدى، بالنهاية، إلى سقوط النظام الليبي، كما أن روسيا تدرك تمامًا الأثر المدمر الذي تخلفه الولايات المتحدة ورائها بعد أي تدخل؛ مثل غزوها العراق، لذا فإن روسيا معنية بعدم تكرار السيناريو الليبي في سوريا، حيث وقفت، روسيا في وجه كل محاولة للتدخل سواء من الولايات المتحدة أو تحت أي مظلة أخرى.

الفقرة السادسة: أثر السياسة الخارجية الروسية تجاه سوريا وانعكاساتها على التنمية السياسية فيها

واقع التنمية السياسية في سوريا، لا يختلف عن مثيلاتها من الدول العربية، فقد كانت ولا زالت عملية التنمية السياسية فيها شبه معدومة، فركائز التنمية السياسية غير موجودة في سوريا، كما أنها لطالما تواجه العديد من الأزمات التي تعيق عملية التنمية السياسية، سواء قبل التحولات التي بدأت عام ٢٠١١ أو بعدها، لذا فإن هذا القسم سيقيس مدى توفر ركائز التنمية السياسية في سوريا، ومدى أثر السياسة الخارجية الروسية على التنمية السياسية فيها .أصبح الحديث عن التنمية السياسية يرتبط إلى حد كبير بالديمقراطية، حيث أصبح الفصل بينهما صعب، ومن أجل تحقيقها يجب تحقيق عدة مقومات لتحقيق التنمية السياسية أهمها؛ المشاركة السياسية، التعددية السياسية، التداول السلمي للسلطة، واحترام حقوق الانسان، مع العلم أنه لا يمكن تحقيق هذه المقومات إلا بنظام سياسي مستقر، وعند تحقيق هذه الركائز نستطيع القول بأن هناك عملية تنمية سياسية فعلية.

عاشت، سوريا، في تاريخها، العديد من التقلبات السياسية، أي أنها عاشت فترات كبيرة في حالة من عدم الاستقرار السياسي، فقد شهدت سوريا العديد من الانقلابات العسكرية، آخرها الذي كان بقيادة حزب البعث، عام ١٩٦٣ ، إلى أن تولى الرئيس السابق حافظ الأسد رئاسة سوريا منذ عام ١٩٧١ وحتى وفاته عام ٢٠٠٠ ، وخلفه ابنه الرئيس الحالي لسوريا بشار الأسد منذ عام ٢٠٠٠ ، ويتضح

[٥٤] انظر قرارات مجلس الامن في العام ٢٠١١، منشورة على الموقع الالكتروني لمجلس الامن، على الرابط التالي:
http://www.un.org/ar/sc/documents/resolutions/2011.shtml

من هذا أنه لم تحقق طول هذه السنوات ركيزة هامة من ركائز التنمية السياسية وهي التداول السلمي للسلطة، فقد حصل التداول في القرن الماضي عن طريق الانقلابات العسكرية، ومنذ سيطرة حزب البعث على السلطة في الستينات من القرن الماضي لم تحصل انتخابات حقيقية ومنافسة وتداول للسلطة، بل كانت تحدث استفتاءات كل سبع سنوات، ولم تحصل انتخابات تعددية إلا في عام ٢٠١٤، أثناء الأزمة السورية التي بدأت عام ٢٠١١، وقد شككت جهات عديدة في مصداقية هذه الانتخابات، في حين اعترف بصحتها جهات أخرى ومراقبين دوليين، لكن بشكل عام، فإنه لا يوجد في سوريا عملية تداول سلمي للسلطة[٥٥].

ونتيجة للحالة السياسية السابق ذكرها، فإنه، أيضًا، لا توجد عملية مشاركة سياسية فعالة في الحياة السياسية في سوريا، حيث أنه لا يوجد طريقة يعبر فيها المواطنون عن رأيهم أو ما يريدونه من النظام الحاكم، ولا يوجد لهم مشاركة في صنع السياسات العامة، أي أنهم لا يشاركون بحكم البلد، بالإضافة إلى عدم إشراك كافة فئات الشعب في الحياة السياسية العامة، مما يجعل شكل العلاقة السياسية داخل المجتمع السوري مشوهة إلى حد كبير .كما أن هناك ركيزة أخرى من ركائز التنمية السياسية تفتقرها سوريا، وهي التعددية السياسية، والتي تعني بمفهومها البسيط وجود العديد من الأفكار والأيدولوجيات التي تتناقش وتتنافس داخل المجتمع السياسي للوصول لنتائج في صالح الدولة، ومن مظاهر التعددية السياسية، التعددية الحزبية، حيث كانت الأحزاب محظورة تمامًا في سوريا ولم يسمح بتشكيلها إلا عندما بدأت الاصلاحات السياسية السورية في أعقاب عام ٢٠١١ ، حيث كان نظام الحزب الواحد هو السائد في البلد.

يتضح مما سبق افتقار سوريا لأهم الركائز التي تقوم عليها التنمية السياسية، وهذا يؤشر إلى ضعف عملية التنمية السياسية فيها، إلا أنه لا يمكن انكار حدوث اصلاحات سياسية لكنها كانت اصلاحات غير كافية، لذا فإن الاصلاحات السياسية التي قام بها حزب البعث في فترة حكمه لم تؤدي إلى عملية تنمية سياسية كاملة.

لهذا، فإن سوريا تواجه أزمات تقف عائقًا أمام التنمية السياسية، لعل أبرزها، أزمة الشرعية، حيث أن النظام في سوريا وخاصة عند توليه الحكم لم يولى بطريقة ديمقراطية، أي برضى الناس، بالإضافة إلى أزمة المشاركة، عبر حكم الحزب الواحد لفترة طويلة، كما أنها بعد التحولات التي بدأت عام

---

٥٥ الخطيب، لينا، مقال بعنوان الانتخابات الرئاسية السورية نقطة المراوحة، الموقع الالكتروني لمركز كارنيغي للشرق الاوسط، بتاريخ ٥ حزيران ٢٠١٤، على الرابط التالي: https://carnegie-mec.org/events/4450

٢٠١١ ، أعلنت عن مجموعة من الاصلاحات، لكن بنفس الوقت فقد نشأت أزمات جديدة تقف أمام أي عملية تنمية سياسية، منها أزمة التغلغل، حيث أن النظام السوري لا يسيطر على كامل التراب السوري، فهناك مناطق واسعة خارج سيطرته، منها ما هو بيد المعارضة المسلحة ومنها ما هو بيد الجماعات المتشددة، لهذا فإن هذه الأزمات كلها تقف أمام عملية التنمية السياسية في سوريا.

طوال تاريخ العلاقات الروسية السورية، لم تقم روسيا بخطوات عملية تجاه حث سوريا أو مساعدتها في تحقيق عملية تنمية سياسية، حيث أن روسيا، بشكلٍ عام، لا تأخذ شكل نظام الحكم أو طريقة الحكم أو البنية السياسية بالحسبان في علاقاتها مع الدول الأخرى، لكن بعد أن بدأت الأحداث في سوريا، أصبح من الضروري التدخل من أجل تحقيق إصلاحات جذرية وهامة تحقق عملية تنمية سياسية تلبي رغبة وحاجة المواطن السوري، لذلك فقد دعمت روسيا الاصلاحات التي أعلن عنها النظام السوري في بداية الازمة، هذه الاصلاحات، والتي منها، السماح بتأسيس الأحزاب ومآذارة نشاطها، والعديد من الأمور التي تحقق قدرًا من التنمية السياسية، إلا أنه وبشكل عام فإنه وحسب الظروف التي تمر بها سوريا، فإن هذه الاصلاحات تعثرت، لذا فإن روسيا تسعى منذ بداية الأزمة إلى جمع السوريين في حوار برعايتها، الحوار الذي يبحث كل شيء والذي يسعى لإيجاد حل سياسي للأزمة السورية، وهذا الحل السياسي، إن تم، فإنه، بالتأكيد، سيفرز تغيرات تمس جوهر الحياة السياسية السورية، وبالتالي هدفه إنتاج وضع سياسي جديد يحقق مطالب الشعب العامة، وتحقق مرتكزات التنمية السياسية، وبالتالي سير عملية التنمية السياسية إلى الأمام، وعليه فإن السياسة الخارجية الروسية تجاه سوريا تسعى إلى دعم عملية تنمية سياسية تكون مخرجًا لسوريا من أزمتها، وتجنب سوريا التدخل الخارجي، وهذه السياسية هي نتاج لقناعة روسية بأنه لا حل للأزمة في سوريا إلا عن طريق حوار يفرز عملية تنمية سياسية، وشكل علاقات سياسية داخلية سورية جديدة[٥٦].

[٥٦] مقال بعنوان: المسار السياسي في سوريا وروسيا قطار الحل، منشور على موقع سبوتنيك الاخباري، بتاريخ ٢٠١٥/١٠/١٠، على الرابط التالي: https://arabic.sputniknews.com/arab_world/201510111015924926 /

الفصل الثاني

التدخل العسكري الروسي المباشر في الازمة السورية والقضايا الدولية المرتبطة

الفصل الثاني:

التدخل العسكري الروسي المباشر في الازمة السورية والقضايا الدولية المرتبطة

تعود الجذور التاريخية للتدخل الروسي في المنطقة العربية الى بداية الحقبة السوفياتية، فبعدما هزمت اليابان روسيا عام ١٩٠٥، لم يلبث الحكم القيصري طويلا" حيث انتهى بإعدام اسرة رومانوف بفعل الاحداث اليومية للثورة البلشفية التي انتصرت واطاحت بالحكم القيصري، وفرضت النظام الشيوعي، الامر الذي عزز من مشاعر العظمة عند الامة الروسية واعاد اليها شيئا" من قوميتها، أتت بعدها الحرب العالمية الثانية، وعندما تكسرت قوة الجيش النازي على الارض الروسية، كان ذلك ايذانا" بصورة "الدب"، وانفتاح شهيته في مواجهة التطورات الكبرى بعد الحرب العالمية الثانية، وبداية الحرب الباردة التي اعتمدت على اختلاف الانظمة بين المعسكرين عندما قادت الدولة السوفياتيتية باسم الايديولوجية وغطائها السياسي حلفاءها في شرق اوروبا والاقاليم الروسية في الجنوب فضلا" عن منطقتي البلقان والشرق الاوسط، صراعا" على النفوذ الدولي ضد المعسكر الغربي، وظهرت موسكو بمظهر الداعم لحركات التحرر الوطني والمناوئة للامبريالية الغربية كما كانت تسميها، إن "الدب" الروسي هذا كان يسعى دائما" للوصول الى المياه الدافئة في شرق روسيا وجنوبها وغربها، وقد دخل السوفيات الى شواطئ البحر الابيض المتوسط بداية" من خلال البوابة المصرية، حيث قدموا الدعم الكامل للرئيس عبد الناصر، الى أن كانت مفاجأتهم من خلال اقدام الرئيس السادات على انهاء التواجد العسكري الروسي في مصر، لينصب اهتمامهم وتركيزهم بعدها على العلاقات العسكرية المتينة مع الدولة السورية من خلال تطوير وجودهم هناك، ومع أن تلك العلاقات شهدت تراجعا" محدودا" بعد انهيار الاتحاد السوفياتي، ومن ثم عادت أكثر متانة مع استلام الرئيس بوتين سدة الرئاسة الروسية، ومطلع العام ٢٠١١، اندلعت الأزمة السورية التي كادت تطيح بالتواجد الروسي هناك، إلا أن الروس لعبوها جيدا" هذه المرة عندما نفذ صبرهم اواسط العام ٢٠١٥، وزجوا بقواتهم البرية والبحرية والجوية في مسرح العمليات السوري، حفاظا" على وجودهم هناك، مع ما يتتبع ذلك من مكاسب استراتيجية وقومية واقتصادية وسياسية، ولقد أثر ودفع بذلك التدخل قضايا دولية عديدة، ابرزها الأزمة الاوكرانية، والصراع في المتوسط، والقضية الفلسطينية، والتقاطع الروسي الاميركي، وقضايا اخرى عديدة.

المبحث الأول: واقع وخلفيات التدخل

لقد اتى التدخل العسكري بالحجم والكيفية مفاجئاً، حيث ساهم التدخل العسكري الروسي في اعادة توزيع القوى على الارض، وتأكيد مبدأ السيطرة الجوية ، والتأثير الكبير لها في اعادة تشكيل خارطة مناطق السيطرة، اضافة الى حجم وغزارة النيران التي امنتها قطعات المدفعية التابعة للقوات الروسية، حيث سنعترض حجم هذه القوات الروسية التي زج بها في الميدان السولري، اضافة الى الخلفيات المباشرة والغير مباشرة للتدخل الروسي العسكري المباشر هناك.

الفقرة الاولى: واقع وحجم التدخل الروسي في الأزمة السورية

أوّلاً: حجم التدخل العسكري

بدأت روسيا الاتحادية تدخلها العسكري في سوريا بتوجيه ضربات جوية بتاريخ ٣٠ ايلول ٢٠١٥، بعد طلب النظام في سوريا دعما" من موسكو وموافقة مجلس الاتحاد الروسي على تفويض الرئيس الروسي استخدام القوات الروسية خارج اراضي الوطن.

لقد أعلن وزير الدفاع الروسي سيرغي شويغو في احدى تصريحاته اواخر العام ٢٠١٧، أن بلاده استخدمت ولأول مرة منظومة صواريخ إسكندر المتطورة في سوريا، مضيفا أن أكثر من ٤٨ ألف عسكري روسي شاركوا في العملية العسكرية الروسية في سوريا على مدى عامين.

واعتبر شويغو أن مهمة القواعد العسكرية الروسية في سوريا هي الحفاظ على الاستقرار الإستراتيجي في الشرق الأوسط، محذرا من أن لدى روسيا قوة عسكرية متطورة، وأنه لا ينصح أحدا بأن يمتحنها، حسب قوله.

كما صادق مجلس الدوما الروسي في نفس التاريخ على اتفاقية توسيع مركز إمداد الأسطول الحربي الروسي في مدينة طرطوس السورية، لتتمكن من استضافة ١١ سفينة حربية روسية في آن واحد بما فيها التي تعمل بالطاقة النووية، وتقضي الاتفاقية المذكورة بمنح القاعدة الروسية حصانة كاملة من القوانين السورية، وبأنه لا يسمح للسلطات السورية بدخولها، وذلك لمدة ٤٩ عاما مع إمكانية التمديد تلقائيا لفترات متعاقبة لمدة ٢٥ عاما دون مقابل مالي[٥٧].

[٥٧] مقال بعنوان" مجلس الدوما الروسي يوافق على توسعة قاعدة طرطوس"، منشور على موقع سبوتنيك الالكتروني على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٠١٧/١٢/٢١، على الرابط التالي:-https://arabic.sputniknews.com/arab_world/201712211028628795

يصل عدد العسكريين الروس المتواجدين بشكل دائم على الاراضي السورية منذ بدء التدخل الروسي المباشر في الازمة السورية، الى خمسة الاف عسكري، يتمركز القسم الاكبر منهم في قاعدة حميميم شمال غرب سوريا، اضافة الى ثلاثة الاف من المستشارين العسكريين الذين يقدمون المساعدة للجيشين الروسي والسوري والقوات الحليفة على الاراضي السورية، ومجموعات من عناصر الشرطة العسكرية ذات الغالبية الشيشانية التي تنتشر لحفظ الامن داخل بعض القرى المحررة كما حصل في حلب الشرقية، وحوالي الف عنصر من القوات الخاصة الروسية.[٥٨]

لقد نفذ الطيران الروسي بعد دخوله المعارك في سوريا، ما بين ايلول ٢٠١٥ وآذار ٢٠١٦، ما يقارب ٦٣٥٢ طلعة جوية، استهدفت ١٨٩١٥ هدفا"، وقد شاركت فيها ٤٢ طائرة سوخوي مختلفة الطرازات، و١٤ مروحية مقاتلة، واهمها طائرات سوخوي ٣٥ التي تعتبر فخر الصناعات العسكرية الروسية، وقد امنت لها الدفاع الجوي من خلال منظومات الدفاع الجوي من نوع أس٤٠٠ وبطاريات بانتسير المتحركة.[٥٩].

لقد استخدمت روسيا قاذفات استراتيجية من نوع توبوليف-٢٢ وتوبوليف-١٦٠ لضرب مواقع عسكرية في سوريا، اضافة الى صواريخ باليستية وصلت مدياتها الى حوالي ٥٠٠٠ كلم، ولعل ابرزها تلك التي رميت من غواصات كانت متواجدة في بحر قزوين.

اما بخصوص القوات البحرية، فقد استخدمت بشكل استعراضي في عمليات قصف داخل سوريا، وقامت حاملة الطائرات الوحيدة الاميرال كوزنتسوف مع الطراد موسكفا بمهمات عسكرية قبالة الشواطئ السورية، كما استخدمت روسيا غواصاتها اربع مرات على الاقل في قصف مواقع للارهابيين داخل الاراضي السورية.[٦٠]

ويرى مراقبون أن التدخل الروسي في سوريا قلب موازين القوى لصالح الرئيس السوري بشار الأسد بعد أن كان يسيطر على نحو 22% من مساحة سوريا الكاملة في الأشهر الأخيرة من العام2015 ، لتتخطى نسبة المساحة التي يسيطر عليها اليوم48% ، بحسب إحصائية للمرصد السوري لحقوق الإنسان في سبتمبر الماضي.

---

[٥٨] مقال بعنوان" الوجود العسكري الروسي في سوريا" منشور على موقع "الامن والدفاع العربي" على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٠١٧/١١/٢٥ ، وعلى الرابط التالي: http://sdarabia.com/?p=54459.

[٥٩] Novishkov، N، russian weapons in syrian conflict، JSC STATUS، موسكو، ٢٠١٧، ص ٢٣.

[٦٠] مقال مقال بعنوان" الوجود العسكري الروسي في سوريا" منشور على موقع "الامن والدفاع العربي" على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٠١٧/١١/٢٥ ، وعلى الرابط التالي: http://sdarabia.com/?p=54459.

وفيما يلي يستعرض مصراوي أبرز المحطات التي مرّ بها التدخل الروسي في سوريا:[٦١]

– اعتبارا من نهاية آب :باتت موسكو تسيطر على القاعدة الجوية في حميميم قرب مدينة اللاذقية، في شمال غرب سوريا.

٣٠– سبتمبر ٢٠١٥ : شن الطيران الروسي أولى غاراته في سوريا، كما نشرت ٢١ طائرة هجوم أرضي من نوع سوخوي –٢٥، و١٢ مقاتلة اعتراضية من نوع سوخوي–٢٤، و٦ قاذفات متوسطة من نوع سوخوي–٣٤، و٤ سوخوي–٣٠ متعددة الأدوار بالإضافة إلى ١٥ مروحية" متضمنة مي–٢٤ هايند الهجومية "في مطار قرب اللاذقية.

٤– أكتوبر ٢٠١٥: اكدت روسيا أنها نشرت أنظمة للدفاع الجوي من طراز اس–٣٠٠ في طرطوس.

٧– أكتوبر ٢٠١٥: شاركت سفن بحرية روسية في العملية العسكرية في سوريا للمرة الأولى، وأطلقت الطرادات الصاروخية صواريخًا مجنحة في بحر قزوين.

١٧– ت٢ عام ٢٠١٥: استخدمت روسيا للمرة الأولى منذ عملياتها في سوريا، طائراتها الاستراتيجية "تو–١٦٠ "و"تو–٩٥ "و"تو–٢٢"، وفي ك١ من العام ذاته، استخدمت صواريخ" كاليبر "بعيدة المدى من تحت الماء.

٢٥– ت٢٢٠١٥: نشرت بطاريات صواريخ مضادة للطيران من طراز اس 400–في قاعدة حميميم.

– بداية ك١ ٢٠١٥: وجه الجيش الروسي للمرة الأولى ضربات انطلاقًا من غواصة تابعة له في البحر المتوسط.

– شباط ٢٠١٦: بدأت قوات النظام بإسناد جوي روسي هجومًا في محافظة حلب وأخذت الفصائل المعارضة تخسر معقلا تلو آخر.

١٤– آذار ٢٠١٦: أعلن بوتين سحب الجزء الأكبر من قواته في سوريا، لكن نحو ٤٣٠٠ جندي ظلوا في البلاد.

---

[٦١] محمود، ايمان، مقال بعنوان "أبرز محطات التدخل الروسي العسكري في سوريا"،منشور على موقع مصراوي دوت كوم على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٠١٧/١٢/١٢، على الرابط التالي: www.masrawy.com

٢٧- آذار ٢٠١٦: الجيش السوري وحلفاؤه يستعيدون مدينة تدمر التاريخية، بعد دعم جوي من روسيا.

١٨- حزيران ٢٠١٦: زيارة مفاجئة لوزير الدفاع الروسي شويجو لسوريا حيث التقى الأسد وتفقد قاعدة حميميم.

١٦- آب ٢٠١٦: ضرب الطيران الروسي أهدافا في سوريا مستخدما للمرة الأولى قاذفاته انطلاقاً من مطار همدان العسكري في شمال غرب إيران.

١٤- أكتوبر ٢٠١٦: صادق بوتين على اتفاق بين دمشق وموسكو حول نشر قوات جوية روسية في قاعدة حميميم" لفترة غير محددة."

٢٢- ك١ ٢٠١٦: الحكومة السورية تعلن استعادة السيطرة الكاملة على حلب، وأعلنت وزارة الدفاع الروسية أن كتيبة من الشرطة العسكرية الروسية انتشرت في ٢٢ ك١ لضمان أمن حلب.

٢٣- ك١ ٢٠١٦: بوتين يتصل بالأسد لتهنئته بتحرير حلب، ويأمر بتوسيع القاعدة البحرية الروسية في مدينة طرطوس.

٢٩- ك١ ٢٠١٦: بوتين يعلن تقليص القوات الروسية في سوريا.

١٢- ايار ٢٠١٧: سيطر الجيش السوري على مدينة إدلب، بدعم من القوات الجوية الروسية التي تكثف غاراتها الآن لتحرير ريف المحافظة.

١٢- سبتمبر ٢٠١٧: الجيش الروسي يزعم أن الجيش السوري يسيطر على 85% من مساحة سوريا.

١٤- أكتوبر ٢٠١٧: تمكن الجيش السوري بغطاء ودعم جوي روسي، من تحرير مدينة الميادين في محافظة دير الزور من قبضة داعش.

٣- ت٢ ٢٠١٧: الجيش السوري يسيطر على مدينة دير الزور بدعم جوي روسي.

١٩- ت٢ ٢٠١٧: سيطر الجيش السوري على مدينة البوكمال الحدودية مع العراق، بدعم جوي روسي .وعندما استولى داعش على تدمر مرة أخري في ك١ ٢٠١٦، استعادتها القوات السورية بمساعدة القوات الجوية الروسية في ٢ آذار ٢٠١٧.

٧- ك١ ٢٠١٧: أعلنت وزارة الدفاع الروسية، تحرير سوريا كاملة من تنظيم داعش الإرهابي.

١١- ك١ ٢٠١٧: أعلن الرئيس الروسي سحب جزء من قواته من سوريا.

ثانياً: الخسائر العسكرية الروسية في سوريا

لم تعترف موسكو بشكل رسمي بأرقام الخسائر في صفوف قواتها المشاركة في العمليات العسكرية في سوريا، ولكن إعلان وزارة الدفاع الروسية في نيسان من العام ٢٠١٧عن عدد القتلى الروس هي من المرات النادرة التي تكشف عنها موسكو، حيث قالت وزارة الدفاع إن عدد قتلى جنودها في سوريا وصل إلى ٣٠ قتيلاً، لكن الرقم قد يكون أعلى بكثير لأن خسائر الجيش تعتبر من أسرار الدولة بموجب القانون الروسي[٦٢].

ويعتبر العدد السابق هو وفقا" للتصريحات الرسمية لروسيا، في حين أن هناك تقديرات غير رسمية تشير إلى تضاعف أعداد القتلى الروس في سوريا. وفي آذار عام ٢٠١٦ سارعت موسكو إلى الإعلان عن سحب "القوات الرئيسية في سوريا"، ورغم ذلك بقيت هناك قوات روسية تشارك في القتال سواء على الأرض أو عبر الطائرات الحربية.

وفيما يلي أبرز الخسائر الروسية في سوريا[٦٣]، وفقا للبيانات التي أعلنتها القوات الروسية، وهي ٣٢ قتيلاً و٧ طائرات، و٢٣ شاحنة، لكن ربما تكون الخسائر أكبر بكثير من ذلك. وأعلنت روسيا في تشرين الأول ٢٠١٥ انتحار الخبير فاديم كوستنكو في قاعدة حميمم الجوية في محافظة اللاذقية، لكن أقاربه شككوا في هذه الفرضية.

---

62 Parker, John, Putin's Syrian Gambit: Sharper Elbows, Bigger Footprint, Stickier Wicket, center of strategic research–national defence university, New York, 2017

٦٣ **تقرير بعنوان:"** الوجود العسكري الروسي في سوريا.. حجمه وأماكن انتشاره وخسائره"، منشور على موقع أنا برس على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٠١٧/٥/٢٤، على الرابط التالي: http://www.anapress.net/ar/articles/%D8%AA%D9%82% /

ولعل من ابرز الحوادث العسكرية التي سببت خسائر بشرية لموسكو، كانت مقتل قائد القاذفة الروسية "سوخوي ٢٤" أوليغ بيشكوف في اواخر عام ٢٠١٥، إثر إسقاط تركيا طائرة روسية على الحدود مع سوريا، وقتل أيضا في المنطقة ذاتها ألكسندر وزينيتش من مشاة البحرية الروسية خلال عملية البحث عن قائد الطائرة "سوخوي ٢٤.

وكذا مقتل المستشار العسكري الروسي إيفان تشيريميسين في شباط ٢٠١٦، إثر سقوط صواريخ على قاعدة في محافظة حمص وسط سوريا.

تجدر الاشارة الى أن وسائل إعلام غربية ووكالات استخبارية، كشفت تعرض قاعدة عسكرية روسية قرب مدينة تدمر إلى هجوم منسق أدى إلى تدمير ٤ مروحيات و٢٠ شاحنة وتضررت مقاتلة من طراز "ميغ ٢٥"، واعتبر الأعنف على القوات الروسية في سوريا.

وفي أيار ٢٠١٧ قتل أيضا جندي روسي خلال اشتباكات مع المعارضة السورية في محافظة حمص، وفي منتصف حزيران، قتل عسكري روسي إثر انفجار سيارة مفخخة يقودها انتحاري في ريف محافظة حمص، وفي الشهر ذاته أعلنت روسيا مقتل جندي إثر انفجار لغم في محافظة لم تحددها السلطات الروسية[٦٤].

الفقرة الثانية: خلفيات التدخل العسكري الروسي المباشر في الازمة السورية

اولاً: الاسباب المباشرة للتدخل الروسي في الأزمة السورية

منذ عهد الاتحاد السوفياتي عرف عن السياسة الخارجية الروسية عدم الحسم، فلم تنقذ موسكو حلفاءها من الهزيمة عبر العقود كما هي الحال مع العراق وليبيا وبعض دول شرق اوروبا، لكن الاستثناء هو التدخل العسكري في اوكرانيا وضمها لشبه جزيرة القرم، والامر سيكون مغايرا" تماما" وحاسما" وواضحا" ما فيه الكفاية بخصوص الأزمة السورية.

يعتبر الروس أن سوريا هي مفتاح المنطقة وليس العراق، هكذا حصل منذ أيام الاسكندر المقدوني قبل ٢٣٤٠ عاما"، والتغيير الجيوسياسي لم يتحقق في الشرق الاوسط عبر بغداد كما توقع وزير

[٦٤] تقرير بعنوان:" الوجود العسكري الروسي في سوريا.. حجمه وأماكن انتشاره وخسائره"، منشور على موقع أنا برس على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٠١٧/٥/٢٤، على الرابط التالي: http://www.anapress.net/ar/articles/%D8%AA%D9%82%

الخارجية الاميركي الاسبق كولن باول[٦٥]، فهذا التغيير يبدو أنه يتبلور من البوابة الدمشقية. وهذه الاعتبارات قد تكون خلف ظنون موسكو بأن الأزمة السورية هي فرصتها الوحيدة لاستعادة دورها الاقليمي في الشرق الاوسط، وفي لقاء للباحث مع السفير اللبناني في موسكو، السيد شوقي ابو نصار ، قال أنه وخلال إحدى لقاءاته مع نائب وزير الخارجية الروسي ومبعوث الرئيس الروسي الى الشرق الاوسط وافريقيا، ميخائيل بوغدانوف، أعرب له الاخير عن أن روسيا تسعى الى لعب الدور الاول في الشرق الاوسط، وأن التدخل المباشر في الأزمة السورية ليس إلا تفصيلا"، سيليه تفاصيل أخرى...

يُحكى أن القيصر الروسي بطرس الأكبر (وهو من أعظم القياصرة الروس) قال منذ ٤٠٠ عام، إذا ارادت روسيا أن تبقى أمة قوية عظيمة، عليها أن تحقق ثلاثة شروط في سياستها الخارجية :

١- عليها أن تصل إلى المحيط الهادي حتى لو اضطرت إلى الصراع مع الإمبراطورية الفارسية.
٢- عليها أن تصل إلى المياه الدافئة في البحر الأبيض المتوسط حتى لو اضطرت إلى تقويض الإمبراطورية العثمانية.
٣- عليها أن تقيم أفضل العلاقات والتحالفات مع سوريا (الهلال الخصيب في ذلك العصر) نظراً لموقع سوريا الجيواستراتيجي كعقدة طرق بين ثلاث قارات ، آسيا ، أوروبا، وأفريقيا. وفي هذا الاطار، يقول السفير الفرنسي السابق ميشال ريمبو، أنه في خلال البحث في ملف النفط اكتشف استراتيجيونا الجيولوجيون الموقع- المفتاح لسوريا، ذلك أنه لتمرير النفط والغاز من الخليج وايران وقطر والشركات الاميركية والروسية الى اوروبا يجب المرور حكماً بالأراضي السورية.[٦٦]

من هنا، تعتبر سوريا أهم حليف استراتيجي لروسيا في المنطقة نظراً لحجم مصالحها فيها، خصوصاً أن روسيا تدير جزءاً من سياستها الخارجية في الشرق الأوسط من خلال سوريا وهي لن تسمح بخسارة هذه المصالح وترك الساحة للمخططات الأميركية الأوروبية هناك، فخسارتها لسوريا خسارة لا تعوض وتمثل نهاية لوجودها في الشرق الأوسط مما يحولها من دولة عظمى إلى دولة إقليمية أو عادية.

لقد جاء التدخل العسكري الروسي المباشر في الأزمة السورية، لمنع سقوط النظام السوري وخصوصاً المؤسسة العسكرية، بعد النجاحات العسكرية الواسعة التي حققتها المعارضة السورية والتي باتت تهدد

[٦٥] زيدان، ناصر،دور روسيا في الشرق الاوسط وشمال افريقيا من بطرس الاكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٣ ص ٢٩٦.
[٦٦] كليب، سامي، الاسد بين الرحيل والتدمير الممنهج، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٦، ص ٣٦٣.

جدياً بقاء النظام السوري، وهي نتيجة كانت ستشكل خسارة سياسية كبرى لروسيا الاتحادية بعد كل الدعم والمساندة التي قدمتها للنظام السوري خلال السنوات الماضية. في المقابل يبدو ثمن المخاطرة السياسية مقبولاً لفرض روسيا الاتحادية ارادتها العسكرية في ساحات المواجهة السورية قياسا" بالمكاسب الجيوسياسية التي ستحرزها موسكو بوجودها العسكري الدائم في سوريا في ظل تراجع الدور الاميركي في الشرق الاوسط.

لقد اتخذ الرئيس بوتين قراره بإعادة الدب الروسي الى مسرح العلاقات الدولية، ويبدو من خلال سياساته الخارجية أنه قرر تحدي الأحادية القطبية، والعمل على بناء نظام عالمي متعدد الأطراف.

إن دعم الصين لخيارات موسكو في سوريا والاعتراض على قرارات مجلس الأمن المتعلقة بروسيا من خلال استخدام حق النقض الفيتو شجع روسيا على ارسال رسالة الى الولايات المتحدة مفادها أنه لا يجوز اتخاذ قرارات احادية في القضايا ذات الأهمية العالمية بعد اليوم.

تعمل روسيا على خلق موانع جيوسياسية في مناطق جغرافية مختلفة لموازنة الضغوط الاميركية على روسيا الاتحادية في جوارها الجغرافي المباشر والى ايجاد موطئ قدم لها في الصراعات الدائرة بالمناطق الجغرافية المحيطة بها، وخصوصا" التي تشكل اولوية لأمنها القومي، حدث ذلك حين تدخل الجيش الروسي عسكريا" في جورجيا اولا" واوكرانيا ثانيا" والآن جاء دور سوريا.

لعل من أهم اسباب التدخل العسكري الروسي المباشر في الأزمة السورية، غير المعلن، هو تزايد نفوذ الجماعات المتطرفة بين المتمردين الذين يقاتلون النظام، والخشية من ان يسفر انتصار هذه الجماعات لتشجيع سلوك مماثل في آسيا الوسطى والقوقاز الروسي، لقد عانت روسيا كثيرا في حربها مع الأصولين في الشيشان حيث ان الحرب الأولى والثانية في الشيشان اسفرت عن خسائر فادحة، ولا يزال التطرف في القوقاز يشكل مشكلة كبيرة للروس فعلى سبيل المثال تشهد مناطق الشيشان، داغستان، ترتارستان اشتباكات يومية بين المسلحين وقوات الأمن الروسية. وقد تعرض في وقت سابق مفتي روسيا فايزوف ايديوس ونائبه فاليلولا ياكوبوف، لإطلاق نار من مسلحين متطرفين في تتارستان، الأمر الذي ادى الى مقتل الأخير واصابة المفتي بجروح، الرجلان معروفان بانتقادهم للتطرف، ودعمهم لجهود الحكومة الاتحادية الروسية لمحاربة التطرف وعزل المسلحين المتمردين في مناطق الشيشان. وتفيد بعض المعلومات في الآونة الأخيرة أن تنظيمات أنشأها مبعوثو «الإخوان المسلمين»

قد تم اكتشافها في ٤٩ منطقة من روسيا، وأن الهدف الرئيس لهذه التنظيمات في روسيا هو تأجيج النزعات الانفصالية في « المناطق الإسلامية»[٦٧]، كما ان السلطات الروسية تعتقد ان "دوكو عمروف"، زعيم ما يسمى الامارة اسلامية في القوقاز، يتم تمويله من بعض المصادر في البلدان العربية، هذا بالإضافة الى أن حوالي خمسة آلاف مقاتل في التنظيمات الارهابية في سوريا، قدموا من مناطق الشيشان وداغستان وجمهوريات في آسيا الوسطى كانت منضوية في اطار الاتحاد السوفياتي[٦٨]، مما يشكل تهديداً مباشراً للأمن القومي الروسي عند ارتداد هذه الموجة الى الاراضي الروسية.

الاعتبار الآخر للتدخل الروسي المباشر في الأزمة السورية، يتجسد في المعلومات التي اشارت الى وقوع سوريا فوق مستنقع كبير جداً يحتوي على كميات هائلة من النفط والغاز. وتفرض تلك المعلومات تفاوضاً على مستقبل مصالح القوى الدولية الكبرى في المنطقة، خصوصاً المصالح الروسية والاميركية، ناهيك عن المصالح المالية، وموضوع العقود التجارية، فسوريا شريك اقتصادي لا بأس به، لا سيما في المشاريع الاستثمارية، حيث للشركات الروسية عقود واسعة لإنشاء المصانع والبنى التحتية في سوريا. من هنا يمكن فهم دافع آخر يقف خلف الموقف الروسي المتشدد إزاء الأزمة السورية، وقد اعتبر الناطق باسم وزارة الخارجية الروسية ان مصير الوضع في سوريا سيرسم معالم النظام الدولي الجديد[٦٩].

من جهة أخرى، كانت سوريا حتى اندلاع الاحداث فيها في آذار من العام ٢٠١١، إحدى أهم اسواق السلاح الروسي في منطقة الشرق الاوسط، حيث كانت تعتمد في تسليحها بنسبة ٨٥% على روسيا، ويربط الدولتان بروتوكول تعاون في مجال الطاقة النووية السلمية منذ العام ١٩٩٩، وقد وقع الرئيسان الروسي ميدفيديف والسوري بشار الاسد، في عام ٢٠١٠ على اتفاقيات تضمنت تزويد سوريا بأسلحة ومعدات عسكرية متطورة جدا".

بالانتقال الى النقطة الابرز المرتبطة بالتدخل العسكري الروسي المباشر في الأزمة الروسية والمتمثلة بالقاعدة البحرية في طرطوس، فإن الميناء المذكور يعتبر آخر قاعدة عسكرية روسية خارج الاتحاد

---

[٦٧] عيد، رياض، مقال بعنوان" ابعاد الموقف الروسي الداعم لسوريا"، منشور على موقع تحولات الالكتروني، بتاريخ ٢٠١٢/١٠/٢، وعلى الرابط التالي: http://www.tahawolat.net/MagazineArticleDetails.aspx?Id=266.

[٦٨] قلعجية، وسيم، روسيا الاوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ٢٠١٦،ص ٣٣٥.

[٦٩] زيدان، ناصر، دور روسيا في الشرق الاوسط وشمال افريقيا من بطرس الاكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٣ ص ٣٠٤.

السوفياتي السابق والميناء الوحيد للسفن البحرية الروسية على البحر الأبيض المتوسط ، حيث تخشى موسكو في حال سقوط النظام خسارة هذه النقطة المهمة للبحرية الروسية .

إن القاعدة البحرية في سوريا تعزز بشكل كبير قدرة البحرية الروسية في المنطقة لأن السفن الحربية المتمركزة هناك قادرة على الوصول إلى البحر الأحمر عبر قناة السويس و الى المحيط الأطلسي عبر مضيق جبل طارق في غضون أيام.

ومنذ بداية الأزمة السورية، ارسلت روسيا حاملة الطائرات الاميرال كوزنتسوف بالإضافة الى المدمرة المضادة للغواصات "الأميرال تشابانينكو" وثلاث سفن برمائية من ميناء سيفيرومورسك في بحر بارنتس الى ميناء طرطوس كما تم ارسال المدمرة سمتليفي من ميناء سيفاستوبول في البحر الأسود الى ميناء طرطوس ، تجدر الاشارة هنا إلى أن اتساع الميناء المذكور لكل هذه القطع البحرية المذكورة هو مؤشر واضح على أهميته الاستراتيجية.

تجدر الاشارة الى أن الأرقام الرسمية تبين أن حوالي ٣٠،٠٠٠ من المواطنين الروس يقيمون على الأراضي السورية، حيث تعتبر موسكو أن مسؤولية حمايتهم تقع على عاتقها، وفي هذا الاطار اتخذت الكنيسة الأرثوذكسية في موسكو، الى جانب القيادة الروسية، موقفا داعما للنظام السوري خاصة بعد قيام فصائل مسلحة مختلفة بتهجير مواطنين سوريين مسيحيين وحرق كنائس في عدد من المحافظات السورية .

أخيراً، لا بد من الإشارة ايضا" الى نقطة اقتصادية مهمة، وهي أن روسيا ترفض محاولات إسرائيل وأميركا وقطر والسعودية منافسة غاز بروم الروسي في أوروبا باقتراح بناء خط أنابيب غاز عابر للأراضي التركية(غاز نابوكو)، وهو ممر مخصص لنقل الغاز الطبيعي من أذربيجان عبر جورجيا وتركيا وصولاً إلى أوروبا مجانباً روسيا، كبديل لغاز بروم، على ان يتصل به انبوب الغاز القطري المتصل بانبوب الغاز الإسرائيلي المصري والذي يفترض مروره عبر سوريا ليصل الى نقطة التجمع في تركيا، الأمر الذي يضر الاقتصاد الروسي بشكل كبير حيث ان اوروبا تشتري ٤١% من استهلاكها للغاز من روسيا، وحيث أن استحداث خط نابوكو المذكور، يشكل مصدراً للغاز الى اوروبا كبديل عن الغاز الروسي، مما يؤدي الى اضعاف ورقة الطاقة الروسية في وجه الدول الاوروبية.

المبحث الثاني: القضايا الدولية المرتبطة بالتدخل الروسي المباشر في الأزمة السورية

لم يكن التدخل العسكري الروسي المباشر في الأزمة السورية منفصلا" عن العديد من القضايا الدولية التي أثرت بشكل مباشر على سرعة وحجم وشكل هذا التدخل، لعل ابرزها الاستراتيجية الروسية الجديدة وما تشتمل عليه من اعادة تشكيل لطبيعة العلاقة والتنافس مع الولايات المتحدة الاميركية، مع ما يرتبط بذلك من صراع في المتوسط، والأزمة الاوكرانية، والصراع العربي الاسرائيلي والقضية الفلسطينية، كلها كانت عوامل مؤثرة بشكل مباشر وكبير على التحلل العسكري الروسي والاصرار على الاحتفاظ بالوجود القوي لها في سوريا.

الفقرة الاولى: الأزمة الاوكرانية

يعود تاريخ العلاقات بين البلدين الى حقبة الاتحاد السوفياتي، عندما كانت اوكرانيا احدى دول الاتحاد، وبعد انهياره وقع البلدان عام ١٩٩٧ معاهدة التعاون والصداقة والشراكة الاقتصادية التي مددت عام ٢٠٠٨ لمدة عشر سنوات.

تسمى اوكرانيا بالحافة ذلك لأنها تقع على سهل فسيح، وتعتبر اوكرانيا دولة متوسطة بالمعيار الجغرافي، حيث تتجاوز مساحتها بقليل ال ٦٠٠ الف كيلو متر مربع، وهي ثالث اكبر دول الاتحاد السوفياتي السابق. لدى اوكرانيا حدود طولها ٤٥٦٦ كيلومترا"، اكبرها مع روسيا الاتحادية بواقع ١٥٧٦ كلم. كما تمتد سواحلها على طول ٢٧٨٢ كلم، وتقع هذه السواحل على بحر آزوف والبحر الاسود. وتعد اوكرانيا دولة صناعية ومصدرة للمعدات التكنولوجية المدنية والعسكرية. يبلغ تعداد سكانها حوالي ٥٢ مليون نسمة، ينحدر اكثر من ٤٠ % منهم من اصول روسية. وهي تعتبر شقيقة لروسيا بالمعيارين العرقي والمذهبي، وقد ظلت على مدى قرون ركنا" اساسيا" في القوة السلافية الارثوذوكسية، وكانت مندمجة في الامبراطورية الروسية منذ القرن السابع عشر للميلاد. لذلك فإن خسارة اوكرانيا بالنسبة الى روسيا الاتحادية، ليست خسارة جيوسياسية وحسب، بل خسارة لجزء من التاريخ والذاكرة ومكونات الهوية الروسية.

لا تقل اوكرانيا اهمية بالنسبة للاتحاد الاوروبي، فهي اكبر دولة في اوروبا خارج الاتحاد، واعتبرت دائما" حافة الشرق الاوروبي ونهاية غرب القارة، وازدادت اهميتها الاستراتيجية بعد انهيار الكتلة

الشرقية وحلف وارسو، ومن ثم الاتحاد السوفياتي، حيث باتت تعتبر الجدار الفاصل بين روسيا الاتحادية واوروبا الشرقية، كذلك تعتبر جسراً بين الاتحاد الاوروبي وروسيا الاتحادية.

تحتل اوكرانيا مكاناً جديداً ومهماً في رقعة الشطرنج الروسية، فروسيا مع اوكرانيا يمكن وصفها بالإمبراطورية الاوراسية، التي تمتد بين القارتين الجارتين، وكذلك فإن سيطرة روسيا على اوكرانيا بسكانها ومواردها الكبيرة وموقعها الاستراتيجي على البحر الاسود، يحولها الى امبراطورية قوية ممتدة عبر آسيا واوروبا.

إن لروسيا الاتحادية بوابات ثلاث رئيسية تنفتح من خلالها على العالم وهي وسط آسيا والقوقاز واوكرانيا، وتشكل اوكرانيا اهمها وأخطرها على الاطلاق، فعبر السهل الاوكراني مرت الجيوش الاوروبية الغازية لأراضي روسيا الاتحادية في حربين عالميتين.

يرى بريجنسكي[٧٠] أنه يتوجب على الولايات المتحدة الاميركية أن تحرم روسيا الاتحادية من ثلاث ركائز جيوسياسية مهمة بحكم موقعها الجغرافي ومواردها الطبيعية، وهي اوكرانيا واذربيجان واوزبكستان، والاهم هي اوكرانيا التي تطل على البحر الاسود المؤدي الى المضائق التركية ومن بعدها البحر الابيض المتوسط، وأي وجود اميركي في اوكرانيا سيمنع روسيا الاتحادية من نشر اساطيلها على السواحل الاوكرانية، مما يؤدي الى محاصرة النفوذ الروسي، تجدر الاشارة الى أن اوكرانيا تتمتع بنفس الاهمية الاستراتيجية بالنسبة للاتحاد الاوروبي وخاصة حلف شمال الاطلسي، لما لموانئها البحرية من أهمية لبوارجه عند دخولها البحر الاسود، وأخيرا" لا بد من الاشارة ايضاً الى أن تزايد النفوذ الاميركي في اوكرانيا، يعني نزيفا" مستمرا" لخاصرة روسيا الاتحادية ووسيلة ضغط عليها لعدم عرقلة المشاريع الاميركية في منطقة الشرق الاوسط، أي بمعنى آخر كورقة ضغط وعملية الهاء لروسيا.

في تشرين الاول من العام ٢٠١٣، ضغطت روسيا على الرئيس الاوكراني فيكتور يانوكوفيتش لرفض انضمام بلاده وتوقيعها على اتفاقية الشراكة مع الاتحاد الاوروبي(من اهم بنودها الغاء التعريفات الجمركية التي يفرضها الاتحاد الاوروبي على السلع الاوكرانية)[٧١]، في ظل دعم شريحة واسعة من المعارضة الاوكرانية للتوقيع على الاتفاقية المذكورة، وبعدها اندلعت احتجاجات واسعة ضد الرئيس

[٧٠] زبيغنيو بريجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى، الاولوية الاميركية ومتطلباتها الجيواستراتيجية، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩، ص ٥١٠.

[٧١] قلعجية، وسيم، روسيا الاوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٦، ص ٢٨٠.

الاوكراني فيكتور يانوكوفيتش، اخذت منحى خطيرا" مع سقوط مئات القتلى والجرحى، استمرت حتى شباط من العام ٢٠١٤ حين أدت الى الاطاحة به، ولاحقا" الى ضم روسيا لشبه جزيرة القرم، من خلال استفتاء شعبي ايده ٩٦،٨ بالمئة من سكان الجزيرة، وأدى الى انقسام اوكرانيا الى شرق موال لروسيا وغرب يسعى الى التقارب مع الاتحاد الاوروبي، وقد اضحت اوكرانيا مسرحا" لصراع النفوذ بين روسيا من ناحية، والولايات المتحدة الاميركية والاتحاد الاوروبي من ناحية اخرى.

ففي حين تؤكد روسيا أحقيتها التاريخية في شبه جزيرة القرم وأن الاستفتاء الشعبي يتفق مع ميثاق الامم المتحدة والقانون الدولي انطلاقا" من مبدأ حق تقرير المصير، اقتداء" بما حصل في اقليم كوسوفو، الى جانب قناعتها بأن ما حصل في اوكرانيا لا يعدو أن يكون انقلابا" بدعم غربي أعقبه تدخلات في شؤون اوكرانيا الداخلية، يرى الغرب أن ما تقوم به روسيا احتلال لأراضي دولة اخرى وأنها تؤجج الصراعات بين شرق اوكرانيا وغربها. وقد تصاعد الامر مع سلسلة العقوبات المتبادلة بين روسيا والغرب، التي بدأت بعقوبات على شركات وافراد ما لبثت ان تحولت الى عقوبات اقتصادية من الجانبين، بما جعل القضية الاوكرانية ساحة للشد والجذب العنيف، تارة من خلال التهديد بالعقوبات والحديث عن تسليح الاطراف الداخلية في النزاع الاوكراني، والديبلوماسي تارة اخرى، من خلال بدء محادثات مينسك التي تسعى الى حل سياسي سلمي للأزمة الاوكرانية.

لا بد من التأكيد هنا بأن شرق اوكرانيا(خاصة اقليمي لوغانسك ودونيتسك)، الذين شهدا اضطرابات واسعة ايضا" منذ نيسان من العام ٢٠١٤ على خلفية صراع بين فصائل انفصالية موالية لروسية ومطالبة بالانضمام اليها واخرى معارضة، لا يزال يأتي في مقدمة اولويات السياسة الروسية، وذلك مرده الى أن تمكن النفوذ والسيطرة الغربيين من اوكرانيا سيشكل تهديدا" مباشرا" للجنوب الغربي لروسيا الاتحادية. كما أن روسيا الاتحادية تنظر الى شرق اوكرانيا باعتبار أنه المخزن الارثوذوكسي الممتاز لمواجهة الزيادة السكانية الكبيرة لأعداد المسلمين داخل الاتحاد الروسي وهو اعتبار مفصلي في السياسات الداخلية الروسية. وفوق ذلك الاعتبار المهم يعطي وجود الانفصاليين في شرق اوكرانيا وروسيا الاتحادية اداة ممتازة لمقارعة الغرب ومواجهة عقوباته الاقتصادية وضغوطه السياسية عبر تسعير المواجهات في اوكرانيا بحسب الحاجة والضرورة. لقد فتحت روسيا الامداد العسكري الى الشرق الاوكراني، لترسم خطا احمر لن تسمح بتجاوزه: الانفصاليون الروس صامدون والصراع العسكري

مستمر، أما اطار الحل السياسي(اتفاق مينسك ٢) فمتفق عليه دولياً، ويطالب جميع الفرقاء بتطبيقه.[٧٢]

لقد قدمت الأزمة الاوكرانية تحديا" جديدا" للأمن القومي الروسي وتهديدا" حقيقيا" في محاصرة نفوذه الاستراتيجي في جواره القريب. واستكمالا" لبناء الحائط الاطلسي العازل من استونيا الى تركيا، لم يكن يتبقى لروسيا الاتحادية سوى نافذتين في الحائط المحكم على حدودها الغربية الاوروبية وهما روسيا البيضاء واوكرانيا.

توضح نظرة واحدة الى الخارطة الاوروبية حجم التهديد الحقيقي لأمن روسيا الاتحادية، ففي جوار البحر الاسود، تقدم الغرب الى بلغاريا ورومانيا وضمهما الى حلف شمال الاطلسي، اضافة الى وجود تركيا اصلا" ضمن هذا الحلف، بمعنى أن روسيا الاتحادية، حتى بسيطرتها على شبه جزيرة القرم، ستواجه لاحقا" في البحر الاسود جواراً كل دوله من اعضاء حلف شمال الاطلسي. وفي الشمال الشرقي للقارة الاوروبية، تقدم الغرب في عملية احتواء استراتيجية غير مسبوقة، ليضم دول البلطيق السوفياتية الثلاث(استونيا، لاتفيا، ليتوانيا)، اضافة الى بولندا.

تشكل شبه جزيرة القرم بالنسبة الى روسيا الاتحادية بوابة مهمة للانطلاق الى المياه الدافئة في البحر الابيض المتوسط وتؤمن لها الاتصال بالقاعدة العسكرية البحرية الروسية في ميناء طرطوس السورية. فالأسطول الروسي في سيفاستوبول يضم ٣٠٠ سفينة حربية، ويعمل في القاعدة ٢٦٠٠٠ عسكري روسي، ولهذا فإن شبه جزيرة القرم تحظى بأهمية كبيرة بالنسبة لروسيا الاتحادية[٧٣].

إن ما تشير اليه الأزمة الاوكرانية هو أن تصاعد الروح القومية الروسية، والعصبية الروسية، والحنين الى أيام العظمة السوفياتية، سيصبح الأساس الذي ترتكز عليه سياسة مقاومة هذا التقدم الغربي، وأساس الردود والتدخلات العسكرية الروسية المحدودة في نقاط اخرى ساخنة في العالم.

وبالانتقال الى التأثير المباشر للأزمة الاوكرانية على التدخل الروسي المباشر في الأزمة السورية، فلا يزال الرئيس فلاديمير بوتين يذكر جيدا" مرارة التجربة في اوكرانيا، حين شاهد بأم العين كيف ذهبت الفوضى بترتيبات النفوذ الروسي هناك، عندما سقط فجأة رأس النظام الحليف المتمثل بالرئيس فيكتور

[٧٢] قلعجية، وسيم،روسيا الاوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٦، ص ٣٣٠

[٧٣] انظر موسوعة ويكيبيديا، معلومات عن ميناء سيفاستوبول، على الرابط التالي:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%8A%D9%81%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%88%D8%A8%D9%88%D9%84.

يانوكوفيتش، لقد تأخر الروس في تقديم الدعم العسكري والامني اللازم للرئيس المخلوع في كييف، مما أدى الى تهاوي مؤسسات الدولة، وسيطرة الثوار عليها، وفرار الرئيس الاوكراني، وهو المشهد الذي تحاشى الرئيس بوتين رؤيته يتكرر في سوريا، حيث سارع الى ارسال قواته الجوية والبرية وزجها في مختلف جبهات القتال في سوريا، كذلك فقد تأخر الروس في الدعوة الى الاتفاقات السياسية حول الحل في سوريا، وذلك لإحراز اكبر قدر ممكن من الانتصارات العسكرية على الارض، للاستفادة منها على طاولات المفاوضات، ولكي يكون أي اطار حل فعالا" وقويا" ويجبر كافة الاطراف على احترامه والالتزام به، ولكي لا يتكرر سيناريو " مينسك ٢ الاوكراني".

أخيرا"، يرى بعض المحللين الغربيين أن روسيا الاتحادية ترى أن التدخل الروسي المباشر في الأزمة السورية وتثبيت مواقعها فيها، يساهم في تخفيف العقوبات الغربية المفروضة عليها بسبب الأزمة الاوكرانية[٧٤]، بحيث أن ما تجنيه روسيا من مكتسبات سياسية في سوريا، يمكنها ان تقايض عليه في اوكرانيا، ومن دون الغوص في تفاصيل هذه المكتسبات في كلا البلدين، الا أن الفكرة بحد ذاتها تدل على نوع من الترابط بين التدخل الروسي المباشر في سوريا والقضية الاوكرانية.

الفقرة الثانية: الصراع الدولي في المتوسط

لقد ذكرت كتب التاريخ أن الملكة كاترينا الثانية، ابنة القيصر بطرس الاكبر الذي حكم الامبراطورية الروسية، والذي يعتبر مؤسس الاسطول البحري الروسي، لقد اعطت كاترينا اوامرها للأسطول البحري الروسي بتنفيذ دوريات بحرية نحو الغرب والمياه الدافئة وتحديدا" في البحر الابيض المتوسط.و

هذا البحر الذي سماه ابن خرداذبة في كتاب "المسالك والممالك" ببحر الشام، هو بوابة أوروبا والبحر الأسود، واستتباعا روسيا ذاتها، إنه الخاصرة الرخوة للأمنين الأوروبي والروسي على حد سواء.

وكانت مجموعة من القطع البحرية الروسية تتواجد –بصفة مستمرة– في البحر المتوسط إبان الحقبة السوفياتية، وتحديدا منذ عام ١٩٦٧.

قبل ذلك، في الحرب العثمانية الروسية –خلال القرن الـ١٨– تحركت السفن الروسية في البحر الأبيض المتوسط لتدعم أسطول البحر الأسود الروسي في فرض الحصار على مضيقي البوسفور والدردنيل والاستيلاء عليهما.

[٧٤] قلعجية، وسيم، روسيا الاوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٦، ص ٣٢٩.

وفي حسابات التاريخ والحاضر معا، لا يُمكن فصل حالة الأمن في البحر الأسود عن الوضع السائد في البحر الابيض المتوسط.

وبمنظور القوى الكبرى، فإن من يخسر في أي من البحرين يكون قد خسر بالضرورة في البحر الآخر، ومن يتقدم في أحدهما يتقدم في الآخر، بالضرورة أيضا، وهذه معادلة تدركها روسيا والقوى الغربية على حد سواء.

وخلاصة الموضوع، فإن الصراع الدولي على البحر الأبيض المتوسط يُمثل أحد عوامل التمسك الروسي بسوريا منذ العهد السوفياتي وحتى يومنا هذ، فمن المعروف أن التحاد السوفياتي رغم اتساع رقعته الجغرافية كان يفتقر الى المنافذ المطلة على البحار الدافئة والمفتوحة، وفي هذا الاطار عمل السوفيات على تحسين علاقاتهم بالدول المتحكمة والمطلة على تلك البحار، ومن اهمها سوريا[٧٥].

وكانت وسائل إعلام في موسكو قد نسبت في أوائل عام ٢٠٠٩ إلى مصدر في رئاسة أركان القوات البحرية الروسية قوله إن هناك قرارا سياسيا بتوفير "نقاط قاعدية" للقوات البحرية الروسية في الوطن العربي، و "لا بد من توفيرها في الأعوام القليلة المقبلة[٧٦] ."

والمقصود هنا هو توفير أماكن لرسو السفن العسكرية في موانئ البلدان المعنية، مع تجهيزها بالمنشآت الكفيلة بتقديم الخدمات الفنية إلى هذه السفن، وتزويدها بالمؤن والماء والوقود والذخائر .

وإبان العهد السوفياتي، كانت جزيرة سقطرة اليمنية تمثل قاعدة متقدمة للبوارج والأساطيل الروسية، وكانت بمثابة قاعدة عسكرية رسمية، ظلت تعمل حتى قيام الوحدة بين شطري اليمن عام ١٩٩٠.

إن روسيا الراهنة فقدت كافة قواعدها العسكرية، خلف حدود الاتحاد السوفياتي السابق، بما في ذلك قواعدها في كوبا وفيتنام، ولم يبق لها سوى منشأة طرطوس السورية، ومن هنا تأتي أهمية هذه المنشأة في حسابات الروس الجيوسياسية.

من خلال الاتفاقيات العسكرية الروسية السورية بالنسبة لطبيعة التواجد في قاعدة طرطوس، فإن تعريفها التقني محدود الإطار لا يقلل من مكانتها بأي حال من الأحوال، ذلك أن فرص اضطلاعها بأدوار عسكرية –استطلاعية بالدرجة الأولى– تبقى واردة ومتاحة متى كان هناك قرار سياسي بذلك، وخاصة إذا علمنا أن الرادارات العاملة في بعض قطع البحرية الروسية تغطي حيزا يصل مداه إلى آلاف الأميال، ولعل هذا تحديدا هو سر الاعتراض الإسرائيلي المتكرر على منشأة طرطوس.

---

[٧٥] منصور، ممدوح، الصراع الاميركي السوفياتي في الشرق الاوسط، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥، ص٩٧.

[٧٦] المرهون، عبد الجليل، مقال بعنوان" قصة العلاقات الروسية السورية"، منشور على موقع الجزيرة الالكتروني، بتاريخ ٤شباط ٢٠١٤، وعلى الرابط التالي: http://www.aljazeera.net/home/print/6c87b8ad-70ec>

ووفقا لبعض الدراسات الإسرائيلية، فإن محللي الدفاع في إسرائيل يرون في البوارج الروسية على الساحل السوري "قواعد متحركة" تنهض بمهام التجسس والاستطلاع الإلكتروني.

لقد تذرعت روسيا بالأزمة السورية لترفع درجة وجودها البحري في المتوسط، من دون أن يفسر ذلك بأنه منافسة للولايات المتحدة الاميركية في منطقة شديدة الاهمية على المستوى الجيوسياسي، أو قرارا" روسيا" بخوض مواجهة عسكرية فيه. فاغتنمت موسكو هذه الفرصة لعرض عضلاتها في المتوسط في اكبر عرض بحري منذ العهد السوفياتي، وتعد هذه الخطوة واحدة من آليات عدة مهمة تدخل في ادارة القوى الكبرى لنزاعاتها الاقليمية، والتي سماها الرئيس الروسي بوتين في احد خطاباته بالخطوة الروسية الدفاعية لحماية الامن القومي الروسي.[٧٧]

يشهد حوض البحر الابيض المتوسط متغيرات بارزة تتمثل في تزاحم أساطيل سفن وطائرات الدول الكبرى المتنافسة على زيادة وجودها في هذا المكان الأبرز استراتيجيا وجيوسياسياً على مر التاريخ.

بالرغم من أنها ليست المرة الأولى التي يشهد فيها البحر المتوسط هذا الوجود، ولكن ما يلفت الانتباه هذه المرة أن الأمر لم يعد مقتصرا" على محاولات إظهار القوة، أو حماية مصالح كل طرف، بقدر تحول هذا البحر إلي ساحة جديدة للمواجهة، بما ينذر بتفاقم المخاطر والتهديدات، وتزايد احتمالات تحول البحر الابيض المتوسط إلى مسرح مفتوح لمواجهات عسكرية.

إن هذا التنافس يؤثر على استقرار دول المنطقة، التي تعاني غالبيتها من التوترات والحروب الداخلية، إذ أن البحر الابيض المتوسط دخل مرحلة من الصراع المتنامي بين روسيا الاتحادية من جانب، وحلف شمال الأطلسي "الناتو" من جانب آخر، وذلك مع إعلان وكالة "تاس" الروسية في تشرين الاول ٢٠١٦ عن انضمام حاملة الطائرات الوحيدة التي تملكها روسيا "الأميرال كوزنتسوف" إلى أسطولها البحري في شرق المتوسط، بهدف دعم قواتها العاملة في قاعدتي حميميم وطرطوس على الاراضي السورية.

لا بد من التذكير مجددا" بأن الوجود الروسي في المتوسط يعود إلى ما قبل الأزمة السورية بعشرات السنين، فقد كان للاتحاد السوفياتي السابق وجود عسكري بحري دائم في المتوسط، خلال ستينيات القرن الماضي، وانتهى هذا الوجود، عقب انهيار الاتحاد السوفياتي، قبل أن تتخذ موسكو قرارا في نهاية العقد الأول من القرن الحالي بعودة بعض القطع البحرية إلى شرق المتوسط، لمواجهة أي طارئ

[٧٧] نعمة، كاظم، روسيا والشرق الاوسط بعد الحرب الباردة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٦، ص ١١١.

أو تهديد من منطقة المتوسط، وهو ما أشار إليه وزير الدفاع الروسي سيرجي شويجو[٧٨] بقوله "إن الأسطول البحري الروسي قادر علي القيام بمهمات في أي منطقة بالمحيط العالمي وفقا" للمصالح القومية الروسية.. وإن هذه المنطقة في الوقت الحالي هي البحر المتوسط، حيث تتركز التهديدات الأكثر خطورة بالنسبة لمصالحنا الوطنية"، ومنذ ذلك الحين، وهناك أدلة قوية تؤكد حرص موسكو على التواجد بكثافة في هذه المنطقة، من بينها[٧٩]:

١- المناورات البحرية الدورية التي يجريها الاسطول الروسي انطلاقا من قاعدة طرطوس، من أبرزها تلك التي جرت في آذار٢٠٠٨، حيث كانت لافتة لناحية حجم ونوعية الأسلحة المستخدمة، وهو ما تكرر في مناورة أخرى جرت في ايلول من العام ٢٠١٥، شارك فيها أكثر من٤٥ ألف جندي روسي.
٢- التمسك الروسي بضم شبه جزيرة القرم الى الاتحاد الروسي لضمان بقاء ميناء سيباستوبول(مقر قيادة أسطول البحر الأسود) تحت سيطرة روسيا. فالاتفاق الروسي مع اوكرانيا حول استغلال الميناء كان يفترض أن ينتهي في العام٢٠١٧، ومعروف أنه من خلال هذا الميناء تستطيع روسيا الاحتفاظ بوجود قواتها البحرية في البحر المتوسط بسبب الاتصال الجغرافي عبر مضيقي البوسفور والدردنيل.
٣- الحرص بين الحين والآخر علي تزويد الأسطول الروسي ببعض السفن الحربية، كان آخرها في اواخر عام ٢٠١٦، حينما توجهت سفينتا "سيربوخوف" و"زيليوني دول" المجهزتان بصواريخ"كاليبر" إلى البحر المتوسط لتكونا جزءا من مجموعة القوات البحرية الروسية، وقد صرح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين في اجتماع عسكري مطلع العام ٢٠١٨، بحسب وكالة سبوتنيك الروسية، إنه بسبب التهديدات القائمة في أعقاب توغل إرهابيين دوليين في سوريا، فإن السفن الروسية المزودة بصواريخ "كاليبر كروز" ستنتشر باستمرار في البحر المتوسط.

[٧٨] في ٦ تشرين الثاني عام ٢٠١٢ ، أصدر الرئيس الروسي فلاديمير بوتين مرسوما رئاسيا بتعيين الفريق أول سيرغي شويغو وزيرا للدفاع في روسيا ولا يزال، وهو شخصية عسكرية فذة، لها تاريخها في صفوف القوات المسلحة الروسية.

[٧٩] طاهر، احمد،مقال بعنوان" دوافع الوجود الروسي ومحدداته في مياه المتوسط"،مجلة السياسة الدولية، تاريخ ٢٣/٣/٢٠١٧.

أولاً: دوافع روسيا وأهدافها في المتوسط[٨٠]:

لقد أصبحت الأزمة السورية مدخلا مهما لتأكيد الوجود الروسي في شرق المتوسط، فقد وجدت موسكو فيها فرصة سانحة لإعادة تركيز قواتها في البحر المتوسط لأسباب جيو استراتيجية، طبقا لما ورد في عقيدتها البحرية المعدلة والمعلنة عام٢٠١٥، والتي تنص على "ضمان وجود عسكري بحري روسي كاف ودائم في المحيط الأطلسي، والبحر المتوسط بهدف إعادة إرساء سريعة وشاملة للمواقع الروسية الاستراتيجية". وعليه، يمكن تلخيص هذه الأسباب فيما يلي:

١- تخفيف أثر العقوبات التي فرضت على روسيا، جراء ضمها لشبه جزيرة القرم، وخاصة الاقتصادية منها.

٢- نقل الخطوط الدفاعية من الحدود الروسية المباشرة إلى مناطق أبعد، بما يضمن الاستقرار النسبي على حدودها المباشرة من ناحية، ويحجم النفوذ الدولي في محيطها الإقليمي من ناحية أخرى.

٣- جعل جميع الدول الأوروبية في مدى الصواريخ الروسية التي يمكن إطلاقها من حاملة الطائرات الروسية في المتوسط.

٤- مواجهة الأسطول السادس الأمريكي المرابط في مياه المتوسط، حيث سعت روسيا إلى تعزيز وجودها كرد فعل على وجود بعض قطع الاسطول السادس في مياه المتوسط، خاصة في ظل ما أثير بشأن وجود سفن أميركية ضمن هذا الاسطول، تعد جزءا" من منظومة الدرع الصاروخية الموجهة لروسيا.

٥- بعد الاكتشافات الضخمة الجديدة من النفط والغاز في شرق المتوسط، خاصة السواحل السورية واللبنانية، تسعى روسيا إلى ضمان حصة من عقود التنقيب والاستخراج، ونقل الغاز، بما يسهم في تعزيز قدراتها وإمكاناتها للسيطرة على سوق الطاقة، من خلال الربط بين مواقع الإنتاج ومناطق الاستهلاك. فإلى جانب كونها معبرا للغاز القادم من آسيا الوسطى، تسعى موسكو إلى ربط الغاز في المتوسط بالغاز القادم من إيران وقطر، من خلال جعل سوريا ممرا إجباريا لخطوط النقل إلى أوروبا. وهو ما وجد ترجمته الفعلية في الاتفاق على منح سوريا

---

[٨٠]طاهر، احمد، مقال بعنوان" دوافع الوجود الروسي ومحدداته في مياه المتوسط"، مجلة السياسة الدولية، تاريخ ٢٣/٣/٢٠١٧.

شركة غاز بروم الروسية في العام ٢٠١٣، امتيازا لمدة ٢٥ عاما" لاستخراج الغاز من الحقول الواقعة في المياه الإقليمية السورية.

ثانياً: الانفتاح على دول المتوسط

لا يقتصر الحضور الروسي في المتوسط على التواجد على اراضي دولة معينة ووحيدة، أو على الجانب العسكري فقط، وإنما يتخذ عدة اشكال مع عدد من الدول المتوسطية، ويعتبر التعاون الاقتصادي من ابرز وجوه هذا الانفتاح على المتوسط، الى جانب التعاون العسكري، ونورد في ما يلي بعض أوجه النشاط الروسي في المتوسط:

١- الاتفاق مع قبرص على منح سفن البحرية الروسية حق الرسو في المرافئ القبرصية، وهو ما يتيح لموسكو إمكانية الرصد والتنصت على قاعدة "أكروتيري"[٨١] البريطانية الموجودة على الأراضي القبرصية، وهي أهم قاعدة رصد إلكتروني لحلف الناتو في المنطقة.
٢- العلاقات الممتازة مع اليونان، فقد أعلن وزير المالية الروسي في وقت سابق عن استعداد بلاده لإقراض أثينا، ووجدت هذه الخطوة استجابة سريعة من جانب اليونان، حيث قام رئيس الوزراء اليوناني أليكسيس تسيبراس بزيارة سريعة إلي روسيا، بعد أيام من إعادة انتخابه، مما أثار مخاوف الاتحاد الأوروبي من فقدان اليونان كجزء من التحالف الغربي.
٣- التقارب مع إسرائيل، رغم ما بدا من توتر وحذر في العلاقات الروسية- الإسرائيلية، خاصة في ظل التعزيزات العسكرية الروسية مع وجود حاملة طائراتها "الادميرال كوزنتسوف"، ونشر صواريخها S300 و S400 بما تفرضه من قيود على النشاطات السرية والعلنية الإسرائيلية في المنطقة، إلا أن الطرفين نجحا في التوصل إلى اتفاق بشأن آلية لتنسيق الطلعات الجوية بغرض منع التصادم بين سلاحي الجو، ثم تطور الأمر إلى إجراء مناورات عسكرية مشتركة في مياه المتوسط في تموز ٢٠١٦، وهو ما مثل أساسا لشراكة اقتصادية مهمة اتاحت لشركة الغاز الروسية المشاركة في العروض الخاصة بتطوير حقلي الغاز الإسرائيليين"لفيتان وتمار" في البحر المتوسط.

---

[٨١] استنادا الى اتفاقية زيوريخ – لندن الموقعة عام ١٩٦٠ التي حصلت بموجبها قبرص على استقلالها، فان بريطانيا تحتفظ في الجزيرة باراض سيادية ترابط عليها قاعدتين كبيرتين هما ديكيليا واكروتيري وتبلغ مساحتها الاجمالية ٩٩ ميلا مربعا. حيث كانت تستخدم قاعدة اكروتيري لارسال افراد القوات البريطانية للمشاركة في العمليات الحربية في افغانستان. وللعلم ان هذه القاعدة لم تشارك في عمليات حربية منذ حرب السويس عام ١٩٥٦.

٤- التقارب مع المغرب، حيث أنه وخلال الزيارة التي قام بها العاهل المغربي محمد السادس في آذار ٢٠١٦ الى موسكو تم توقيع اتفاقات مهمة، منها اتفاق شركة "غاز بروم الروسية" على إقامة محطة الغاز الطبيعي المسال في منطقة الجرف الأصفر، والتي تعد بمنزلة مخزن استراتيجي للطاقة لتزويد جنوب أوروبا، بحيث تستكمل به روسيا الطوق الذي تسعى من خلاله الى التحكم بصورة كلية بالغاز المرسل إلى أوروبا ليمنحها ذلك مزيدا من أوراق الضغط على الغرب.

ثالثاً: موقف حلف الناتو من التواجد الروسي في المتوسط

لم يكن رد فعل حلف الناتو على الوجود الروسي في المتوسط بمستوى حجم الردع الذي يحاول تسويقه، في ضوء ما يمثله هذا الوجود من تهديدات لمنطقة كان يعتبرها خاضعة لنفوذه، إذ كان من المتوقع أن يثير هذا الوجود هواجس ومخاوف الحلف، بما يدفعه إلى الرد بصورة مباشرة وقوية، إلا أن الأمر لم يتجاوز حد التصريحات لقادته العسكريين عن مخاطر هذا الوجود وتهديداته، على غرار ما جاء على لسان الأمين العام للحلف، بأن "الحشد الروسي الكبير في سوريا وشرق المتوسط يغير التوازن الاستراتيجي"، إضافة إلى إجراء الحلف لمناورة عسكرية في المتوسط اواخر العام ٢٠١٥ لمدة اسبوعين، ضمت ٣٦ ألف جندي، وستين سفينة حربية، و١٤٠طائرة مقاتلة.

الهدف الرئيسي من هذه المناورة، كما أعلن الحلف، أنها تأتي في سياق ضرورة وجود استراتيجية واضحة للحلف لمواجهة المخاطر القادمة من جبهته الجنوبية، ولكن من الملاحظ أن الناتو، وربما للمرة الأولى، يجري مناوراته في أجواء ليست لديه السيطرة الكاملة عليها، كما كان في السابق، إذ تمثل المتغير الجديد في الوجود الروسي هناك، بما فرضه على القائمين على المناورة من اتخاذ الاحتياطات الأمنية اللازمة بسبب وجود الطيران الروسي في الأجواء، ووجود شبكة دفاع جوي متطورة على المراكب الروسية، ومن بينها البعيدة المدى، وذات الدقة العالية كصواريخ الدفاع الجوي S ٣٠٠.

رابعاً: ضوابط التواجد الروسي في المتوسط:

إن الوجود الروسي في شرق المتوسط، وإن كان يحقق كثيرا من طموحات روسيا كلاعب دولي في نظام عالمي يعاد تشكيله، فإن هذا الوجود سيظل مرهونا بثلاثة محددات، الأول يتعلق بالإدراك الروسي لطبيعة هذا الوجود، إذ يعلم الرئيس الروسي فلاديمير بوتين جيدا" أن وجوده في المتوسط لن

يشكل تهديداً جدياً للغرب، لأن المرفأ الوحيد له يمكن منع الوصول إليه من المنفذين الوحيدين الدردنيل والبوسفور التركيين، فضلا عن أن الوجود البحري الروسي لن يستطيع مواجهة الوجود الفعلي لأساطيل حلف الناتو أو الولايات المتحدة الاميركية، إضافة إلى ضعف البنية التحتية للقوات البحرية الروسية، التي تحد من مدى توسع السلاح البحري الروسي في المحيط العالمي.

يتعلق المحدد الثاني بتطورات وجود قوى فاعلة دولية أخرى، والمقصود هنا تحديدا" الصين، صحيح أن هذا الوجود لا يزال في بدايته، إلا أنه من المهم أخذه في الحسبان، خاصة في ظل التقارب المرحلي بينهما، والذي عبرت عنه المناورات المشتركة التي أجراها الطرفان في المتوسط في ايار من العام ٢٠١٦، ورغم صغر حجم المناورة، إذ شاركت فيها ثلاث سفن بحرية صينية(فرقاطتا صواريخ "لينيي ووفانغ" وسفينة الإمدادات "ويشانهو") مع ست سفن روسية، فإن هذه المناورة أعطت إشارة البدء لتوسع آفاق البحرية الصينية ووجودها في المتوسط.

فإن كانت الصين لم تنظر إلى البحر المتوسط كمنطقة ذات اهمية استراتيحية لها من الناحية التقليدية، إلا أن تنامي دورها الاقتصادي العالمي، وأهمية تأمين مسارات الملاحة البحرية لتجارتها أضافا إليها أبعادا جديدة في رؤيتها تجاه المنطقة وممراتها، وهو ما قد ينذر بمزاحمة الأساطيل المرابطة في تلك المنطقة في المستقبل.

أما المحدد الثالث والأخير، فهو قدرة روسيا على الانخراط بفعالية في معظم ملفات المنطقة بتعقيداتها، وتشابكاتها، وأزماتها، بدءا من القضية المحورية "الصراع العربي– الإسرائيلي"، مرورا بالتفكك الذي تشهده بعض بلدان المنطقة، وصولا" إلى تعدد اللاعبين الدوليين والإقليميين في كثير من شؤون المنطقة، وهو ما يفرض على روسيا أن يكون لها دور فاعل ومقبول لصياغة تسويات سياسية لقضايا المنطقة وأزماتها.

الفقرة الثالثة: القضية الفلسطينية

لقد اعاد بوتين الاهتمام بملف القضية الفلسطينية، بعد أن كان الحضور الروسي شكلياً الى حد ما في اللجنة الرباعية الراعية لعملية السلام في الشرق الاوسط، وقد ازداد في عهده تأثير اليهود الروس المقيمين في اسرائيل، التي زارها بوتين في العام ٢٠٠٥ والتقى ممثلين عنهم.

لم يتعايش بوتين طويلاً مع تزايد النفوذ اليهودي في روسيا، خاصة بعد أن بدأ دورهم يستثير مشاعر حوالي ٢٠ مليون مسلم في روسيا[٨٢]، وينعكس على دور روسيا في المنطقة العربية وهي واحدة من أهم المناطق في العالم والتي تؤثر في السياسة الخارجية الروسية وفي موازين القوى العالمية، حيث أقدم على سجن نائب رئيس المؤتمر اليهودي في روسيا بأمر قضائي وبتهمة اختلاس اموال عامة.

في العام ٢٠٠٦، دعا الرئيس الروسي وفدا" من حركة حماس لزيارة موسكو بعد فوزها في الانتخابات التشريعية التي جرت في كانون الثاني عام ٢٠٠٦، رافضاً عزلها دولياً مما أثار غضب القادة الاسرائيليين الذين اعتبروا الامر تشجيعا" روسيا" لسياسة التطرف والارهاب. ولكن الامر تغير لاحقا" بعد أن اعلنت حركة حماس سيطرتها على السلطة في قطاع غزة عام ٢٠٠٧، حين أيدت موسكو الرئيس محمود عباس واعدة إياه بمساعدة عسكرية هي عبارة عن ٥٠ عربة مدرعة، وأعلن بوتين تأييده لمؤتمر انابوليس الذي عقد في الولايات المتحدة الاميركية للأطراف المعنية بالسلام في الشرق الاوسط في العام ٢٠٠٧، معتبرا" أنه خطوة على طريق الحل، ولكن تطورات العدوان الكبير الذي شنته اسرائيل على قطاع غزة في بداية العام ٢٠٠٩ أعاد خلط الاوراق وقلص فرص التسوية، وكان لموسكو موقف واضح من العدوان بإدانة الهجمات الاسرائيلية على قطاع غزة.

يواجه الدور الروسي في ملف القضية الفلسطينية والصراع العربي الاسرائيلي تحدياً يتمثل في بحث العرب عن طرف يعينهم على تحقيق توازن استراتيجي سياسي وعسكري مع اسرائيل. بيد أن التحديات التي يفرضها هذا الدور منعت روسيا من ادائه، فالوسيط في هذه المسائل يجب أن يكون قوة كبرى معترفا" بها وهو ما لا يتوفر في روسيا الاتحادية كما كان الحال مع الاتحاد السوفياتي.

يرى الكثير من الباحثين أن روسيا توظف علاقاتها العربية لتعزيز علاقاتها مع اسرائيل، فعلى سبيل المثال في مسألة تسليح سوريا ببعض الاسلحة النوعية، خاصة انظمة الدفاع الجوي، نفت موسكو مرارا" قيامها بعقد صفقات تسليح متطورة مع سوريا يمكنها المس بالأمن القومي الاسرائيلي، في تكتيك

[٨٢] سري الدين، عايدة،البوابة السورية والعودة الروسية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٦، ص ٧٨.

يهدف الى الضغط على اسرائيل لتقديم تنازلات في ملف الأزمة السورية بما يخدم استمرار التواجد الروسي الاستراتيجي على الاراضي السورية[٨٣]، او لتعزيز علاقاتها التجارية بتل ابيب او في مجالات التقانة التي تفتقد اليها موسكو، او حتى لإبراز الدور الروسي المؤثر في المنطقة، لأنها قادرة فعليا" على الاخلال بالتوازن الاستراتيجي الاقليمي، من خلال التلويح بنيتها تزويد سوريا بأسلحة نوعية تقيد حرية اسرائيل في اي عمل عسكري قد تلجأ اليه كلما تحسنت قدرات سوريا الدفاعية او الهجومية.

لم تتخذ روسيا مواقف ناشطة من اعتداءات اسرائيل على لبنان او غزة، ولا في مرحلة مبكرة من الربيع العربي، ما اضعف الصدقية الروسية كقوة كبرى لها مصالحها ودورها التاريخي في المنطقة في عقود الحرب الباردة. لذلك قررت موسكو انتهاج سياسة ناشطة ايجابية في سوريا، لأن الموقف من سوريا يوجد فرصا" اكبر ومجالات اوسع لحركة خارجية روسية لا تتيحها قضية اخرى في المنطقة، بعدما تراجع التركيز على البعد القومي للصراع العربي الاسرائيلي، لذلك فإن اي تدخل لروسيا من هذا الباب لن يساعدها في اعادة ابراز دورها على الساحة العربية كما هو الحال مع التدخل في الأزمة السورية، ناهيك عن أن الازمة السورية فتحت امام موسكو افق التفاوض مع القوى الاقليمية الكبرى وخاصة اسرائيل[٨٤].

الفقرة الرابعة: التقاطع الروسي الاميركي في سوريا

يعتبر الكثيرون أن هناك نوعا" من التفاهم أو التوافق الضمني، وأقله تنسيق عالي المستوى بين روسيا وأميركا في التعاطي مع الأزمة السورية، بصفتهما الدولتين الأكثر تأثيراً في الأزمة السورية، والاكثر قدرة على توجيه مساراتها، ويتجلى ذلك بتحسب الطرفين من خطر دفع الأمور إلى حدها الأقصى وإلى معركة كسر عظم، بسبب تقدير الخصوصية السورية وتأثيرها على استقرار الشرق الأوسط، اضافة الى المنافع المتبادلة في الحفاظ على توازن النفوذ القائم بين المحاور المتشكلة في المنطقة.

[٨٣] نعمة، كاظم، روسيا والشرق الاوسط بعد الحرب الباردة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٦، ص ٧٨.
[٨٤] نفس المرجع السابق، ص ١٠٤.

من المتعارف عليه أن تنظيم القاعدة لا يزال العدو الأول والأخطر عند الأميركيين، في المقابل، يتحسب الروس –في حال سقوط النظام– من اشتداد عود التيار الجهادي وتثمير انتصاره في البلدان الإسلامية، وخاصة عند الحدود الجنوبية للاتحاد الروسي[٨٥]..

ولا بد هنا من التذكير بالرأي الذي يصر على أن هناك حقيقة لا يمكن للطرفين الأميركي والروسي القفز فوقها، وهي المصلحة الإسرائيلية وأولوية الأخذ برؤية تل أبيب بشأن تأثير التغيير في سوريا على أمنها الإستراتيجي، وذلك ربطا" بالرأي القائل بأن ثمة لوبي يهودي تنامى دوره في روسيا ولا يقل اهمية في التأثير على السياسات الروسية في المنطقة، عن اللوبي اليهودي في أميركا والمؤثر على سياسات واشنطن الشرق أوسطية، ويعتبر اصحاب هذا الرأي بأن إسرائيل وضعت موسكو وواشنطن أمام واحد من خيارات عدة، إما الحفاظ على النظام الحالي الذي خبرته جيّداً والذي التزم بطريقة غير مباشرة بالحفاظ على جبهة الجولان آمنة ومستقرة، وإما التحكم بعملية التغيير والسيطرة على قواها وتداعياتها، وإما التلاعب بالنزاع السوري كي يطول أمده ويسير بالبلد نحو الخراب والاهتراء كي تأمن جانبه لعشرات قادمة من السنين، وهنا بيت القصيد.

وبعيداً عن الرؤية التآمرية يعتقد آخرون بوجود دوافع موضوعية تجبر روسيا وأميركا على خلق تفاهم بينهما يؤسس لدور مشترك لا يمكن من دونه إخراج الوضع السوري مما هو فيه، تبدأ بالمسؤولية الأممية الملقاة على عاتقهما، كدول كبرى، لاجتراح حل سياسي ينقذ ما يمكن إنقاذه من مجتمع ودولة أوصلتهما الحرب الى مشارف التفكك والهلاك.

"ليس من قيمة كبيرة لأي تفاهم بين موسكو وواشنطن، إن حصل، إلا إذا تحقق واحد من احتمالين، إما قبول الأطراف الداخلية المعنية به وإذعانها لتنفيذه، وإما أن تتكفل القوى الدولية بإكراه أطراف الصراع على ذلك[٨٦]"

وثمة دافع يتعلق بطابع المجتمع السوري التعددي، ورغبة الطرفين في التعاون لضمان تعايش مكوناته المختلفة وحماية الأقليات ربطاً بترجيح قدوم سلطة بديلة يحتل فيها الإسلام السياسي وزناً وتأثيراً

---

85 Simons, terry, CIA, Syrian intelligence, Russian svr, competition for Syria and the post Assad geopolitical contiguous, lambert academy publishing, New York 2014, page 55.

٨٦ البني،اكرم، مقال بعنوان"سوريا وحميمة التفاهم الروسي الاميركي"، منشور على موقع الجزيرة نت الالكتروني، بتاريخ ٢٠١٣/٢/٥، على الرابط التالي: http://www.aljazeera.net/home/print/6c87b8ad-70ec.

كبيرين، والأمر لا يتعلق فقط بالخوف على ثقافة الأقليات ونمط عيشها، بل بالأعباء التي قد تفرض على المجتمع الدولي إذا تواترت موجات النزوح والهجرة.

وتكتمل اللوحة بتنامي قلق الطرفين من احتمال انزلاق البلاد إلى حرب أهلية واسعة، وأهمية تعاونهما لمحاصرة احتمالات تصديرها إلى بلدان الجوار، وإلى لبنان وتركيا والعراق خاصة

ففي منطقة كالمشرق العربي متداخلة بشرياً وديمغرافياً، وفي ساحة كسوريا تحتل موقعاً إستراتيجياً وتتشابك سياسياً مع عدد من الملفات الحساسة، يجب توقع الأسوأ من توسع حربها الأهلية بأن يتصاعد العنف ويمتد، وتتورط فيه المجتمعات المجاورة أكثر فأكثر، ويتخذ أشكالاً طائفية أو قومية على نحو متزايد، مما قد يفتح الباب لإعادة رسم التموضعات الاجتماعية والسياسية الاقليمية.

لا بد من التساؤل حول القدرة الحقيقية لموسكو وواشنطن على التأثير على الاطراف المتصارعة وإرغامهما على السير في السكة السياسية ما دام كل طرف يعتقد بإمكانية الحسم وتحقيق انتصار كاسح،

فموسكو غير قادرة على فرض موقفها على نظام دمشق، خاصة منذ أن انخفضت العلاقات بينهما، وتراجع الدعم الروسي لسوريا بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ، ويزيد الأمر تعقيداً إدراك النظام حاجة موسكو للعب بورقته لتحسين موقعها، ولبيع الأسلحة التي لا يزال يسدد ثمنها بمساعدة حلفائه بالعملة الصعبة، وبأن إيران لن تتخلى عنه وتستسلم لخسارة نفوذ متكامل في المشرق العربي جاهدت سنين طويلة لبنائه، أما واشنطن فدورها وفاعليتها سيبقيان محدودين ما دامت تفضل سياسة الضغط المرن وإدارة الأمور من وراء الستار وتسليم مفاتيح الحل لموسكو، تأثراً ربما بالعقدة العراقية، التي لم تصل الى خاتمة سعيدة لغاية تاريخه، أقله بالنسبة لواشنطن، وربما بأولوية اهتمامها بأوضاعها الداخلية وربما بأفضلية استنزاف خصومها على حساب دماء السوريين وآلامهم، والأهم بحسابات تكلفة التصعيد في بلد لا يمتلك موارد للتعويض.

لم تعد السياسة الروسية تجاه الشرق الاوسط ترتكز على اسس واضحة، ولم تعد تمتلك استراتيجية واضحة، فهي تآذار خليطاً من التصرفات المزعجة للولايات المتحدة الاميركية حيناً ولدوافع اقتصادية حينا" آخر، فهي تدرب بعض الجيوش العربية وتبيعها السلاح، في حين انها تشتري طائرات اسرائيلية بدون طيار، كما انها تقوم بتدريبات وتحركات عسكرية من وقت الى آخر في البحر المتوسط ولكنها

تتجنب ازعاج اسرائيل مع انها تضغط احياناً لعدم تطوير منظومة اسلحة الدول العربية، لا سيما سوريا، الحليف الاساسي لها. وتحكم السياسة الروسية في الشرق الأوسط اعتبارات اخرى ذات حساسية واسعة، فلا هي قادرة على تجاهل هذه المنطقة الواقعة الى الجنوب من

خاصرتها الرخوة في القوقاز ولا هي قادرة على تحقيق خطوات نوعية متقدمة من شأنها تجاهل نفوذ القوى الدولية الاخرى وتأثيراتها[٨٧].

يعتبر كثيرون أن الإدارة الأمريكية لم تقدّم الدعم للنظام السوري بالمال والسلاح والرجال كما يفعل الروس، لكنّها قوّضت عملياً كل الجهود الحقيقية المخلصة للإطاحة بهذا النظام وهو الأمر الذي أدى ويؤدي في المحصلة إلى نفس النتيجة ألا وهي إطالة عمر النظام.

إن الموقف الأمريكي من التدخل الروسي المباشر في الازمة السورية، لم يكن حاسما" بما فيه الكفاية، لقد بدا واضحاً أنّ هناك تحوّلاً جديداً في الموقف الأمريكي من الملف السوري حيث كانت الدبلوماسية الأمريكية تدفع باتجاه التقارب مع موسكو، خاصّة أنّ الطرح الروسي يناسب تماماً الأهداف الاستراتيجية الأمريكية في سوريا، إذ أنّ أولوية واشنطن كانت ولا تزال محاربة "داعش" وليس إسقاط النظام السوري، كما أنّ واشنطن ليست متمسكة بضرورة رحيل الأسد كشرط لانطلاق العملية الانتقالية، أضف إلى ذلك أنّها تمتلك نفس المخاوف الروسية من إمكانية سقوطه المفاجئ، وبالتالي فقد كان الموقف الروسي يلبّي حقيقة التطلعات الأمريكية.

عملت واشنطن تالياً على خط تركيا لدفعها للانخراط عسكرياً في التحالف ضد "داعش"، وبعد ضغوط كبيرة وعمليات ابتزاز وتطورات سلبيّة في الداخل التركي تمّ التوصل إلى اتفاق، وقد نجم عن ذلك اتفاق فتح قاعدة "إنجرليك".

تشير معظم التقارير المتوافرة اليوم أنّ الحشد العسكري الروسي في سوريا بدأ حقيقة في نفس الشهر الذي شهد الاتفاق النووي الأمريكي – الإيراني من جهة، والجهد الأمريكي المتصاعد في حث روسيا على الاضطلاع بدور أكبر في الملف السوري من جهة أخرى[٨٨].

---

[87] Mankov, Jeffery, russian foreign policy-the return of great power politics, rowman and little field publishers، 2011, page 89.

[٨٨] باكير، علي حسين، مقال بعنوان" تقاطعات في أجندة أمريكا وروسيا في سوريا"، منشور على موقع السورية نت الالكتروني، بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢١، على الرابط: https://www.alsouria.net/content/%D8%AA%D9%82%D8%A7%D8%B7%.

خلال الأشهر الستة الماضية، ركّز الجانب الأمريكي في رسائله الأساسيّة لباقي الدول في الاجتماعات الدولية الخاصة خلف الأبواب المغلقة على أنّ روسيا تمتلك مفتاح الحل في سوريا، وعلى أنّه يجب الانخراط معها لأن ذلك من شأنّه أن يقنعها بتغيير موقفها من الأسد. لم تكتف واشنطن بهذا القدر، فقد طرحت مبادرات سياسيّة تتعلق بالتحكم بمسار العملية الانتقالية السورية ومستقبل سوريا، وقد بدا واضحاً أنّ مضمون هذه المبادرات الأساسي أيضاً هو ضمان المصالح الروسية في سوريا.

كل هذا التحرّك تمّ نظرياً تحت عنوان أنّه لا يمكن تجاهل دور روسيا في القضية السورية وأنّها تبقى العنصر الأكثر تأثيراً على الرئيس السوري بشار الاسد. عملياً، ما كان يتم حقيقة طرحه هو استخدام سوريا مرة أخرى كجزرة إصلاح العلاقات مع موسكو والتوصل معها إلى صفقة ترضيها وذلك كما تمّ استخدام الملف السوري خلال المرحلة الماضية من قبل إدارة أوباما كجزرة لاسترضاء الإيرانيين. إدارة أوباما أثبتت مراراً وتكراراً أنّها مهتمة في إرضاء خصوم الأمس أكثر من اهتمامها لمصالح ونفوذ حلفائها.

يعتبر بعض المراقبين والمحللين، أن واشنطن لم تكتفي بالتمهيد سياسياً للدور الروسي الجاري حالياً والتقديم له ودفعه دفعاً فقط، وإنما هيّأت له الأرضية أيضاً من خلال إجراءات لضمان عدم أنّ يؤدي هذا الدور العسكري لموسكو إلى تصادم مباشر بالخطأ مع واشنطن، فحينما كانت موسكو ترسل تعزيزاتها العسكرية الخاصة التي تتضمن دبابات وطائرات وأنظمة صواريخ أرض–جو إلى داخل سوريا، أعلنت الإدارة الأمريكية أنّها ستسحب منظومة الدفاع الصاروخي باتريوت التي نشرتها في تركيا على الحدود مع سوريا، كما أعلنت ألمانيا الأمر نفسه[٨٩].

كل ما يقال اليوم عن انزعاج أمريكي من الدور الروسي غير دقيق وثابت بشكل اكيد، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الحديث عن صراع بين الطرفين. ما يجري هو في سياق التسويات، ولا شك أنّ كل طرف يطرح أوراقه ومطالبه لرفع سقفه. قد يكون هناك قلق أمريكي من أن توسّع موسكو دائرة مطالبها، لكن واشنطن لم تحاول حتى أن تضبط سقف طموحات موسكو ومطالبها ولم تبد أي معارضة مبدئياً لمثل هذا الأمر أو تحاول احتواءه بدليل استئناف المحادثات العسكرية المباشرة بين الطرفين والتي كانت قد انقطعت بقرار أمريكي نتيجة احتلال روسيا لشبه جزيرة القرم، وتعود اليوم بطلب روسي تمّ ربطه علناً بتدخلها العسكري الجاري في سوريا.

[٨٩] نفس المرجع السابق.

موسكو سعيدة على ما يبدو لتلبية الدعوة الأمريكية للعب دور أكبر في سوريا، فهذا يتيح لها أن تستعرض عضلاتها على الساحة الدولية كما أنّه يمثل فرصة لها لكسر عزلتها الدولية ويحجز لها مقعداً على طاولة المفاوضات بشأن مستقبل سوريا، كما يضمن لها تحصين وزيادة نفوذها ليس في سوريا فقط بل في منطقة الشرق الأوسط بأكملها من خلال شبكة التحالفات التي تتطلبها العمليات العسكرية في سوريا.

يمكن القول أنّ العلاقات الأميركية الروسية مرّت بالعديد من الأحداث التي أثّرت عليها، حيث بلغت من التعقيد بشكل أصبحت لا تفهم أحياناً. فلكل دولة مصالحها التي تعمل لأجلها وهذا ما يؤدي في أوقات كثيرة إمّا إلى التصادم أو التوتر. وهذا ما يحصل اليوم بين روسيا والولايات المتحدة حيث يتحدّث البعض عن عودة الحرب الباردة خاصة بعد الصعود الروسي في الأزمة السورية. فقد أصبح الدور الروسي موجوداً في سوريا بقوته العسكرية والتقنية لتتحوّل سوريا لساحة صراع وعراك دولي قبل أن تكون ساحة عراك سياسي من أجل الوصول إلى حلول سياسية للأزمة السورية تأخذ في إعتبارها مصالح وطموحات ومطالب الشعب السوري. فالتدخل الروسي في سوريا، هو تَدخُل استراتيجي أولاً وأخيراً، حيث تُريد روسيا استعادة دورها في المنطقة بعد انهيار الإتحاد السوفياتي في أوائل تسعينات القرن الماضي، وتريد استعادة أمجادها وحماية أمنها القومي. فيما تتردد واشنطن بالوصول لحل للأزمة السورية لأنها أصلاً تريد إدامة الصراع؛ حيث تسعى من خلال موقفها من التدخل الروسي في سوريا أن يتم خلط الأوراق مُجدداً حتى تحدث تغييرات جديدة قد تقع على الأرض السورية لترتيب فخ أفغاني لروسيا في سوريا، لإيقاعها في أكثر المناطق المُلتهبة سياسياً وإستراتيجياً. بينما ترى روسيا بأنّ الحالة الأفغانية مُختلفة عن الحالة السورية، وإن حقبة اواخر سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي مُختلفة كلياً عن الحقبة الزمنية الراهنة[٩٠].

اخيرا"، يتعيّن على الغرب تبنّي التعاون مع روسيا على أساس المصالح المشتركة. ففي سورية لا يرغب الأميركيون ولا الروس، بغضّ النظر عن مدى قوة الخلافات بين موسكو وواشنطن بشأن رحيل الأسد من السلطة، في حدوث فوضى أو إقامة نظام إسلامي سنّي راديكالي[٩١].

---

[٩٠] مكي، عبد المنعم، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلاقات الدولية بعنوان "التوافق الاستراتيجي الروسي الصيني في مواجهة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط ،كلية الحقوق والعلوم السياسية والادارية في الجامعة اللبنانية، بيروت، ٢٠١٧، ص ١٠٢.

[٩١] مقال بعنوان التحالف الافتراضي، السياسة الروسية تجاه سوريا، منشور على موقع مركز كارنيغي للشرق الاوسط، بتاريخ ٢٠١٣/٤/١٥. على الرابط: https://carnegie-mec.org/2013/04/15/ar-pub-51496

المبحث الثالث: أفق ومستقبل العلاقات الروسية السورية

يمكن الاعتبار بأن روسيا باتت تؤثر بشكل كبير على القرار السوري، وهي التي ستفوز بالحصة الاكبر في رسم معالم "سوريا الجديدة"، إلا أن نتائج التدخل العسكري الروسي المباشر في الأزمة السورية، وصمود النظام السوري، لا تقتصر على هذا العامل، انما تتخطى ذلك الى علاقات استراتيجية متينة، ومصالح ومكتسبات قومية سياسية واقتصادية متبادلة، سوف نسلط الضوء عليها في هذا المبحث.

النبذة الاولى: المكتسبات الروسية من العلاقات المتينة مع سوريا

الفقرة الاولى: المكتسبات السياسية والاستراتيجية:

اتاحت الازمة السورية، لروسيا، فرصا" ميدانية" كي تفرض ارادتها في الامم المتحدة، وتحشد وراءها رأيا" عاما" دوليا" يعارض النهج المتبع في السياسة الدولية منذ انتهاء الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفياتي، وبالتالي عززت موقفها التفاوضي ومكنها من السعي الجدي الى صوغ قواعد جديدة للعبة الدولية غير التي أرستها الولايات المتحدة حين افترضت انها القوة العظمى الوحيدة في العالم وان روسيا ضعيفة ومعزولة.

لا بدّ من ربط مستقبل العلاقات الروسية السورية برؤية روسيا للتطوّرات في منطقة الشرق الأوسط، ومن بينها العلاقات الخاصة والمتينة التي تربطها بإيران، والتي تعتبرها الصديق الأقرب لسوريا وروسيا على حد سواء. فالعلاقات الروسية–الإيرانية كانت دائمًا حميمة ومتينة منذ تفكّك الاتحاد السوفياتي سواء في مجال التعاون الاستراتيجي في بحر قزوين أو في المجال النووي والعسكري أو في مجال المساعدة على ضبط الأوضاع في جنوب القوقاز وشمالها، وخصوصًا الحركات ذات الخلفية الإسلامية، ولا بدّ هنا من الاشارة إلى التلاقي الحاصل بين الرئيس الروسي فلاديمير بوتين والقيادات الإيرانية حول الكراهية التي يكنّها كل منهما للولايات المتحدة، ولضرورة طردها من منطقة الخليج. وهناك أيضًا المخاوف الروسية–الإيرانية من انتشار إرهاب «القاعدة»، حيث يمكن لإيران وروسيا التعاون لضبط الوضع في سوريا.

تعتقد الدبلوماسية الروسية أن مواقفها تجاه سوريا، كانت وما زالت تتّسم بالواقعية السياسية والمدعومة برؤية مستقبلية حول الإرهاب وسرعة انتشاره في حال سقوط النظام في سوريا، وتعتقد موسكو أن

الوصول المبكّر للجماعات الإرهابية إلى سوريا، يدعم وجهة نظرها وقرارها لحماية النظام السوري من السقوط تحت ضغط التدخّل العسكري الغربي.

من المؤكد أن المنطق الذي يستعمله القادة الروس لتبرير استمرار دعمهم السياسي والعسكري للنظام السوري في وجه الدول الغربية، والحفاظ على امتن العلاقات مع النظام السوري القائم، يندرج ضمن سياسة توازن القوى وتقاسم النفوذ على المستوى الدولي، وهو غير مقبول بالنسبة إلى معظم الدول العربية، وخصوصًا منها التي شهدت إنتفاضات شعبية مثل تونس وليبيا ومصر واليمن. وترفض جميع الشعوب العربية التبريرات الروسية المدافعة عن النظام السوري في ظل استمرار العمليات الحربية والاضرار المادية الضخمة والخسائر البشرية الفادحة التي تسببها.

من جهة اخرى، فإن استمرار العلاقات الروسية السورية بالطبيعة التي هي عليها الآن مع النظام السوري الحاكم، قد يرتّب وقوع روسيا في حالٍ من العزلة على غرار العزلة المفروضة عربيًا ودوليًا على النظام السوري، مما قد يؤثر سلبا" وتدريجًيا" على نفوذها في السياسة الدولية.

تدرك موسكو أن جامعة الدول العربية، ومجلس التعاون الخليجي، وأيضًا تركيا، قد فرضت جميعها حصارًا على النظام، ويمكن لهذه الدول أن تلجأ إلى فرض عزلة على روسيا إذا استمرّ الموقف الروسي في دعمه للنظام السوري، وفي تقديم كل أنواع الأسلحة والذخائر للنظام. ويبدو أن الإصرار الروسي على الموقف الداعم مرشّح للإستمرار، ما سيؤدّي إلى خسارة موسكو علاقاتها الجيّدة مع بعض الدول العربية.

من جهة أخرى، فإن أحد اهم اسباب التمسك الروسي بالنظام السوري الحاكم، هو لإعادة تأكيد دورها كقوة عظمى خصوصًا بعد عودة بوتين إلى رئاسة الدولة، واعتماده نزعة سلطوية، تطمح إلى تصحيح العلاقات مع أميركا، وخصوصًا في ما يعود لمناطق البلقان وشمال أفريقيا والشرق الأوسط.

ولا بدّ في هذا السياق من الإشارة إلى رغبة بوتين في التعامل مع الولايات المتحدة على قاعدة المساواة في تبادل المصالح، مع وجود قناعة لديه أن تغيير النظام السوري في الوقت الراهن لن يكون في مصلحة روسيا في المدى المتوسط أو البعيد.

يضاف إلى تعقيدات العلاقات الروسية–الأميركية هواجس موسكو من قيام نظام إسلامي متشدّد في سوريا على أنقاض النظام العلماني الراهن، وذلك بعدما شهدت الثورات العربية الأخرى صعود الأحزاب

الإسلامية إلى الحكم. ويمكن ربط هذه الهواجس الروسية بالتجارب القاسية التي واجهتها موسكو في مواجهة الحركات الإسلامية والانفصالية في الشيشان وبعض جمهوريات القوقاز ذات الأكثرية الإسلامية[٩٢].

يستنتج مما سبق، أنه على الرغم من أهمية العلاقات التجارية والسياسية بين روسيا وسوريا وعلى الرغم من أهمية قاعدة طرطوس البحرية بالنسبة إلى الأسطول الروسي المبحر في المتوسط، فإن الموقف الروسي «المتصلّب» تجاه الأزمة السورية يرتبط إلى حد بعيد بتعقيدات العلاقات القائمة بين روسيا والدول الأوروبية والولايات المتحدة، ومن أبرزها: الدرع الصاروخية، وقضايا حقوق الانسان والملف النووي الايراني(بالرغم من التسوية المتأرجحة المتعلقة به)، بالإضافة إلى توجس روسيا الدائم من التدخّلات الأميركية في دول الطوق الروسي.

يضاف إلى السجل الحافل بالخلافات مع الغرب، وجود رغبة لدى الرئيس بوتين لاستعادة دور روسيا كلاعبٍ أساسي في الجيوبوليتيك الشرق أوسطي والدولي، بحيث أنه لا يمكن تجاهل الهواجس الروسية التي ولّدها التدخّل العسكري الغربي في ليبيا، إذ أن تعميم هذا التدخّل سيشمل سوريا، ما سوف يفتح الباب لتدخّلات عسكرية غربية في المحيط الجغرافي القريب من روسيا. كما يفتح احتمال أن تكون إيران مستهدفة بعد سوريا، لا سيما أن روسيا ترتبط معها بعلاقات ومصالح استراتيجية، لذا لا يمكن أن تقبل بأن تخسر حليفيها في الشرق الأوسط: إيران وسوريا.

لقد صدرت تصريحات عن بعض القيادات الروسية، تؤكّد عدم تمسّك موسكو بشخص الرئيس السوري بشار الأسد، لكن القيادة الروسية استمرت في شحن الأسلحة والذخائر الروسية للنظام، بحجة تنفيذ عقود قائمة بين الدولتين، كما لا يمكن لروسيا أن توقف دعمها للنظام السوري بشكلٍ قاطع لأن مثل هذه الخطوة ستضعف إيران وتعرضها لمزيد من الضغوط والمخاطر، وخصوصًا لجهة تهديد نفوذها في العراق ولبنان ومنطقة الخليج، مما يدفع إيران إلى وضع دفاعي صعب سيكون لمصلحة الولايات المتحدة وحلفائها الاقليميين، على حساب العودة الروسية.

[٩٢] عبد القادر، نزار، مقال بعنوان" روسيا والأزمة السورية: مصالح جيو – استراتيجية وتعقيدات مع الغرب"، مجلة الدفاع الوطني اللبنانية، العدد ٨٤ – نيسان ٢٠١٣ .

الفقرة الثانية: المكتسبات الاقتصادية المستقبلية

ينكب معظم الباحثين والكتاب على تناول المكتسبات الاستراتيجية السياسية والعسكرية لروسيا، جراء تدخلها المباشر في الأزمة السورية، ويخلصون الى أن ذلك من شأنه أن يؤدي الى مكتسبات اقتصادية روسية، لعل ابرزها كعنوان عريض هو ملف النفط في سوريا وشرق المتوسط، وهو ما سنعود اليه لاحقا"، دون الغوص في تفاصيل النشاط الاقتصادي الروسي الرسمي والخاص في دورة الاقتصاد السوري، لذلك سنحاول بداية في هذه الفقرة، البحث عن موضوع الاستثمارات الروسية المستقبلية في الاقتصاد الروسي، من خلال السياسات والتوجهات الاقتصادية لكلا البلدين، إن كان من خلال بعض التصريحات لأصحاب الشأن في كلا البلدين، أو من خلال بعض الخطوات العملية الحديثة التي انطلق العمل على وضعها موضع التنفيذ، حتى قبل التوصل الى حل سياسي نهائي للأزمة هناك.

نبدأ من حيث اعلان نائب وزير التنمية الاقتصادية الروسي، أليكسي غروزديف، أن وزارة التنمية الاقتصادية الروسية تدعو المصارف المهتمة للمشاركة في تطوير البنية التحتية المالية بين روسيا وسوريا، وقوله على هامش منتدى أعمال" التعاون التجاري الروسي السوري — الفرص والتوقعات " الذي انعقد في موسكو اواخر العام ٢٠١٧، بأن الاتصالات بين الهيئات الحكومية الاقتصادية في كلا البلدين تهدف إلى إيجاد الظروف اللازمة لتطوير الأعمال، وأنه من المهم للغاية تطوير البنية التحتية المالية بين البلدين، ودعم المعاملات، وحسابات التبادل المباشرة، كما أكد بأن الحكومة الحكومة الروسية بدأت العمل على ذلك، ودعا البنوك الروسية المهتمة للانخراط في هذا العمل، وأعرب عن أمله بتسهيل تطوير الاتصالات والنقل واللوجستيات والبنية التحتية للموانئ بمشاركة مجتمع الأعمال في التعاون بين الدولتين[٩٣].

ومن الجهة السورية، في تصريح للسفير السوري في روسيا، قال حداد، في منتدى الأعمال الروسي – السوري، الذي انعقد اواخر العام ٢٠١٧ في غرفة التجارة والصناعة الروسية، إن حجم الدمار الناجم عن القتال الدائر في سوريا" مروع"، وحدث ضرر لا يمكن إصلاحه، في مختلف مجالات الاقتصاد، وفي هذا الصدد تأمل دمشق بأن تتمكن الشركات الروسية من المساعدة في إعادة إعمار البلاد، وأضاف حداد" تلقت الحكومة السورية وجميع المنظمات ذات الصلة التعليمات اللازمة من الرئيس بشار الأسد من أجل تقديم أقصى قدر من المزايا لزملائنا الروس الذين سيشاركون في استعادة

[٩٣] تقرير بعنوان" وزارة الخارجية الروسية تدعو المصرفيين الروس الى التعاون مع سوريا"، منشور على موقع سبوتنيك على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٠١٨/٢/٢ ، على الرابط التالي:-https://arabic.sputniknews.com/world/201802261030355093 /

الاقتصاد السوري، حتى يتسنى لبلادنا استعادة المكانة التي احتلتها قبل الحرب٩٤"، وفي التصريح المذكور بينة واضحة على الدور الروسي المستقبلي للشركات الخاصة الروسية في اعادة اعمار سوريا. تجدر الاشارة الى أن مدينة سوتشي الروسية شهدت، في تشرين الأول من العام ٢٠١٧، اجتماعا حكومياً بين روسيا وسوريا للبحث في التعاون بالمجالات الاقتصادية التجارية والعلمية والتقنية، حضره شخصيا" وزير الخارجية الروسي وليد المعلم.

من جهة اخرى، وفي آب من العام ٢٠١٧، تم تنظيم معرض دمشق الدولي، حيث بدا لافتا" المشاركة الواسعة للشركات الروسية، حيث أفاد وكيل شركة الصناعات الروسية" سوفو كريم " ، بأن الجناح الروسي في معرض دمشق الدولي يضم عدة شركات روسية، وهي التي تعمل في مجال النقل والغاز والنفط، والكهرباء، والسكاكر، والحلويات وغيره، وأضاف لشبكة سبوتنيك الروسية الاخبارية بأن شركة "سوفو كريم " الروسية تقوم بتجهيز وتصنيع المعدات الخاصة بالمطاحن والصوامع ومعامل الأعلاف، وتقوم حالياً بتجهيز مطحنة ضخمة في شمال سوريا للتشغيل بطاقة إنتاجية يومية تقدر بحوالي 600 طن طحين يومياً على أن يتم تسليم المشروع نهاية العام ٢٠١٨، وبين أنه يوجد عدة عقود من خلال التعاون السوري الروسي الاقتصادي لتجهيز عدة مطاحن إضافية ومعامل للأعلاف على مختلف الاراضي السورية.

ولم يخف مستشار شركة" التا "الصناعية والتجارية روبرت جاركوفيسكي، عن" سبوتنيك "عدم وجود مشاريع سابقة في سوريا بسبب العقوبات والحصار المفروضان على البلاد إلا أن شركته تفكر ببعد استراتيجي وأنها بصدد توفير المعدات الطبية والمعدات لصناعة الحديد والبناء ومشاريع أخرى كبيرة في سوريا.

كذلك صرح مدير شركة" برايم الكتريك " الروسية لتوليد الطاقة الشمسية لـ"سبوتنيك "بأن الشركة تعتبر إحدى أكبر الشركات الواعدة التي تصمم وتصنع أجهزة الإنارة التي توفر صرف الطاقة على أساس تكنولوجيا led وتضم مصابيح ديود ضوئية مخصصة لإنارة الشوارع والمنشئات الرياضية ومواقع البنية التحتية في مجال النقل وفي المستودعات والإضاءة المعمارية للمباني، كما تم، خلال المعرض المذكور، توقيع عقد مع شركة" كونكورديا "الروسية المتخصصة في الطاقة الشمسة وتوليد الكهرباء

٩٤ نفس المرجع السابق.

عن طريق الطاقة الشمسية تخلله وصول شحنات من المعدات المذكورة خلال العام ٢٠١٨، ومن المفترض أن يتم إقامة معمل تجميع للمعدات في الساحل السوري خلال العام نفسه[٩٥].

إنما نورد هذه التفاصيل في المشاريع الاقتصادية المتوقعة لشركات روسية في سوريا، للدلالة على جانب من حجم النشاط الاقتصادي الروسي في سوريا، الذي على ما يبدو سينمو بشكل كبير مع الاقتراب من التوصل الى حل سياسي نهائي شامل في سوريا، مما سيعزز المكانة الاقتصادية لروسيا، في بلد يخرج من حرب مدمرة، استوجبت اعادة تأهيل شامل للبنى التحتية فيه، مع ما يلازم ذلك من جذب للاستثمارات الخارجية ومشاريع اعادة البناء، والتي سيكون لروسيا حصة الاسد فيها.

بالعودة الى ملف النفط السوري مستقبلا"، ومسألة مرور خطوط الغاز عبر الاراضي السورية، فقد سبق وتحدثنا في فقرات سابقة عن الاستثمارات الروسية النفطية في سوريا، خاصة من خلال شركة غاز بروم الروسية، والتي يتوقع أن تزيد من عمليات التنقيب بعد انتهاء الازمة على الاراضي السورية الى جانب نشاطها الحالي، كذلك لا بد من اعادة التشديد على أن روسيا تصر على أنه وفي حال التوصل الى اتفاقات بشأن مرور الغاز القطري عبر الاراضي السورية متوجها" الى اوروبا، من ضمن سلة التفاهمات الاقتصادية، فإن روسيا تريد وتشدد على الاشراف على الخطوط المذكورة اثناء مرورها في سوريا، لتحتفظ بنوع من السيطرة على اكبر قدر ممكن من تدفق الغاز الى اوروبا، كورقة ضغط قد يتم صرفها في اماكن ونقاط ساخنة او عالقة اخرى في العالم.

[٩٥] تقرير بعنوان" الشركات الروسية في معرض دمشق الدولي"، منشور على موقع سبوتنيك على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٠١٧/٨/٢١، على الرابط التالي: https://arabic.sputniknews.com/arab_world/201708211025747842-/

النبذة الثانية: علاقة استراتيجية مستقبلية

الفقرة الاولى: شكل وحجم التواجد الروسي المستقبلي في سوريا

لقد سبق وذكرنا أن هناك ٤٥٠٠ عسكري روسي في سوريا، وهذا ما أقرت به من قبل وزارة الدفاع الروسية اواخر العام ٢٠١٦، مع الاشارة الى وجود تقارير استخباراتية غربية تشير إلى أن العدد الحقيقي للوجود الروسي في سوريا قد فاق ٢٠ ألف مقاتل من القوات البرية والجوية والبحرية، وذلك على الشكل التالي[٩٦]:

١- الانتشار العسكري الروسي في منطقة الساحل السوري برياً وبحرياً وجوياً، بعد توسيع السيطرة على ميناء طرطوس، حتى بات الميناء تحت السيطرة الروسية بالكامل، وجعل المياه الاقليمية السورية مسرحاً لقطع الأسطول الروسي، بالإضافة إلى المياه الدولية المقابلة لها، ومن خلال مطار حميميم الذي تتمركز فيه أربع أسراب من أحدث أنواع الطائرات الروسية.

٢- انشاء ثكنات برية روسية في دائرة بعمق ٧٠ كم حول حميميم

٣- السيطرة على قاعدة "اسطامو" الجوية الصغيرة شمال حميميم ونشر مروحيات عسكرية من طرازات مختلفة.

٤- إنشاء منطقة إقامة دائمة لفرقة مدرعة روسية في منطقة "جورين" ونشر فوج مدفعية فيها.

٥- إنشاء ثكنة عسكرية في جبل "زين العابدين" بريف حماة تضم قوات حرب إلكترونية وتشويش وتنصت.

٦- نشر مجموعات صغيرة قوامها ضباط قيادة وسيطرة في كل تشكيلات الجيش السوري، وخاصة في المناطق الساخنة في كل أنحاء سوريا.

٧- الانتشار الكبير للقوات الروسية في مطار "كويرس" بعد أن ساهمت الضربات الجوية الروسية إلى حد كبير بفك الطوق عنه، ويعتبر الآن مطار "كويرس" ثالث أكبر قاعدة عسكرية روسية في سورية، حيث يضم قوات برية وقوات دفاع جوي.

٨- انتشار مخابراتي كبير في شمال سورية، انطلاقاً من مطار القامشلي، بالإضافة إلى نصب محطات تنصت وكشف جوي ضمن المطار من أجل التمويه على وجودها.

٩- احتلال وسط مطار "الشعيرات" وتمركز مروحيات قتالية فيه.

---

[٩٦] تقرير منشور على موقع "اورينت نت" الالكتروني على شبكة الانترنت، بعنوان" التواجد العسكري الروسي في سوريا"، بتاريخ ٢٠١٦/١٠/١١ ، على الرابط التالي: www.orient-news.net.com

١٠- احتلال قسم من مطار "التيفور العسكري"، وتمركز عدد من المروحيات القتالية فضلاً عن تمركز وحدات خاصة من القوات البرية هناك.

١١- انشاء قاعدة عسكرية كبيرة ضمن مدينة تدمر، وتعتبر من خلال حجمها رابع أكبر قاعدة روسية في سورية، حيث تضم قوات هندسية وقوات خاصة ويوجد ضمن القاعدة نقاط انطلاق للمروحيات العسكرية.

١٢- ١٢ - إرسال الحاملة "كوزينتسوف" و٦ مدمرات بحرية أخرى وزوارق مرافقة سريعة لها إلى شرق البحر الأبيض المتوسط "المياه الاقليمية السورية"، فضلاً عن القطع البحرية الموجودة أصلاً أهمها الطراد المدمر "موسكفا" وغواصات نووية وأخرى تقليدية.

من خلال هذا السرد المبسط والمختصر لتواجد القوات الروسية في سورية، لا يمكن لأي باحث في الشؤون العسكرية إلا أن ينظر إلى هذا الحجم والقدرات القتالية الروسية الهائلة على أنها مجرد تدخل عابر وذو محدودية زمنية قصيرة، وقد تسرب عن ضابط كبير جداً في قوات النظام تعبيره على حد قوله أن "روسيا من خلال تواجدها العسكري في سوريا قد اكملت احتلالها لسوريا بالكامل"، وفي ذلك دلالة واضحة على حجم التغلغل الروسي في الجيش السوري وحجم انتشار القوات العسكرية الروسية على الاراضي السورية، واستحداث الثكنات وتأهيل المطارات العسكرية، الامر الذي لا يبدو ابدا" أنه مؤقت، انما يدل على استمرارية التواجد العسكري على الاراضي السورية وازدياد فعاليته بشكل اكبر بكثير مما كان عليه قبل اندلاع الازمة السورية.

الفقرة الثانية: متغيرات العلاقات المستقبلية بين البلدين

لا حليف استراتيجياً لروسيا في الوطن العربي غير سوريا، ولا قيود خارجية على هذا التحالف كتلك التي ستقيد أي تحالف جديد تنسجه روسيا مع أي حليف عربي جديد في المنطقة، كمصر او العراق او السعودية أو حتى ايران.

لقد وجدت روسيا في دخولها العسكري الى سوريا فرصة لرسم خطوط حمراء امام الغرب على المدى الطويل، وتأكيد نهائية وجودها في هذه الدولة وضمان تأثيرها السياسي فيها خلال السنوات المقبلة، مع ما يستتبع ذلك من مشاركة مباشرة في صوغ أي دستور جديد في سوريا، او رسم أي معالم اعادة

هيكلة سياسية مستقبلية في سوريا، وبمعنى آخر فإن الروابط والعلاقات السياسية بين البلدين سوف تتعزز بشكل اكبر مع التوصل الى حل سياسي نهائي وشامل للأزمة السورية.

إن استراتيجية روسية الامنية على المستوى الدولي، بما فيها سوريا ، تتضمن خوض صراعات عسكرية، وتكتيكات واجندات عسكرية من هذا النوع مع الغرب، وذلك لما توفره هذه الصراعات من حماية لدورها في قطاع الطاقة على مستوى العالم[٩٧]، سيما سوريا الواقعة على تقاطعات مشروعات الغاز المرسومة للمنطقة، وهي التي تحتوي على مخزونات ضخمة من هذه المادة في الداخل وعلى شواطئها، أضف الى ذلك الاكتشافات النفطية الجديدة في شرق المتوسط، الامر الذي سيدفع بالتأكيد بروسيا الى تعزيز تواجدها الاقتصادي في سوريا وزيادة مشاريعها الاستثمارية هناك، سيما في ملف التنقيب عن النفط، مما يؤشر ايضا" الى أن الاقتصاد السوري سيتم ربطه أكثر فاكثر بالاقتصاد الروسي، عطفا" على ازدياد الاستثمارات الاقتصادية الروسية المتوقعة في الاسواق السورية وقطاع النفط، من هنا المؤشر الواضح على متانة وديمومة واستمرارية العلاقات الاقتصادية المتينة بين الطرفين، مع ما يستوجب ذلك من تواجد عسكري روسي على الاراضي السورية لحماية تلك المصالح.

لقد قدمت روسيا العديد من الخسائر البشرية والمادية في العتاد خلال مشاركتها المباشرة في النزاع المسلح الدائر هناك، ولقد قطفت ثمار هذه المشاركة، وسيتبلور هذا القطاف بشكل اكبر من خلال استمرار التواجد العسكري والحفاظ على مصالحها الاقتصادية هناك، وحماية مصالحها الاسترتيجية الناجمة عن هذا التواجد من خلال التواجد على الساحل الشرقي للمتوسط، والامساك بملف النفط في سوريا، والإشراف على خطوط مرور انابيب النفط المستقبلية في سوريا،

لقد بات لدى العديد من القيادات العسكرية الروسية التي شاركت في الاعمال الحربية والاستخباراتية في الحرب الدائرة هناك، خبرة واسعة في مجال الميدان وتكتيكات الحرب هناك، واصبح لديهم معرفة واسعة بالطبيعة الجغرافية لميادين القتال السورية، وفعالية وحدات الجيش السوري، لذلك نعتقد ونفترض بأن روسيا ستعزز من انتشارها العسكري على الارض وداخل مختلف وحدات الجيش السوري، من خلال قيادات عسكرية روسية شاركت في المعارك الى جانب هذه الوحدات اضافة الى الخبرة الواسعة في مجال الاستخبارات وجمع المعلومات عن الفصائل المسلحة والارهابية في سوريا، ما يعني بشكل مؤكد أن روسيا لن تفرط كليا" بهذه الخبرات وسوف تطور التبادل العسكري المشترك بين قواتها وقوات

[٩٧] سيف الدين، محمد، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلاقات الدولية بعنوان" الاستراتيجية الجديدة للأمن الروسي وانعكاساتها على العلاقات الدولية"، ص ٣٣٧.

الجيش السوري، كذلك سوف تحتفظ بوحدات استخباراتية بشكل اكبر من ذي قبل على الاراضي السورية، وذلك بهدف تعزيز تبادل المعلومات بين الطرفين، لحماية انجازاتها العسكرية والامنية والسياسية والاقتصادية في سوريا.

من ناحية أخرى ثقافيا"، يمكن للمراقب بسهولة في المعاهد ومراكز التدريب على اللغات في سوريا، أن يلاحظ حجم الاقبال الكثيف على تعلم اللغة الروسية، تمهيدا" لاستقبال الاستثمارات الروسية الموعودة في سوريا والتي ستتطلب بالتأكيد عناصر سورية تتقن اللغة الروسية للترجمة واعداد التقارير وتنفيذ مختلف الاعمال في مختلف المجالات الاقتصادية، وفي المقلب الآخر في روسيا يمكن رصد الازدياد المضطرد في اعداد الطلاب الوافدين لتلقي العلوم الجامعية والدراسات العليا في الجامعات الروسية، كذلك بدأت حركة تأسيس المعاهد الروسية للتدريب والموجودة على الاراضي السورية خاصة في دمشق، مما يعزز العلاقات الثقافية القديمة بين البلدين، ولكن بشكل اكبر مع تبلور الحل النهائي في سوريا، وما يستتبع ذلك من تزايد حجم التبادل الثقافي بين البلدين.

الخاتمة

لقد حاول الاتحاد السوفياتي نسج افضل العلاقات مع الدول العربية، بهدف تحصيل اكبر قدر ممكن من المكاسب السياسية والاقتصادية والاستراتيجية، بالتوازي مع الترويج للعقيدة الشيوعية بكافة مندرجاتها، فكان ينجح تارة مع بعض الدول ويفشل تارة اخرى مع دول اخرى، وقد حذت حذوه روسيا الاتحادية، مع التركيز والتصويب بشكل اكبر على قاعدة المصالح المتبادلة في نسج العلاقات الجديدة مع بعض الدول العربية خاصة الكبرى منها كمصر والسعودية وليبيا والعراق وسوريا، ولكن مع التقليل من البعد العقائدي والنضالي هذه المرة، واعتماد السياسات المنطقية والنفعية المتوازنة في نسج تلك العلاقات، ولعل من ابرز الدروس المستقاة كانت التجربة المصرية، عندما قدم الاتحاد السوفياتي كمّاً هائلاً من الدعم المادي والعسكري لجمهورية مصر العربية على قاعدة نصرة الشعوب العربية في مواجهة اسرائيل، ليقدم الرئيس المصري الراحل انور السادات فجأة على تخفيض العلاقات معه، ووقف التعاون العسكري مع الاتحاد السوفياتي بين ليلة وضحاها، وطرد الخبراء الروس من مصر، مسدلا" بذلك الستار عن حقبة طويلة من الدعم السوفياتي للدولة المصرية.

كذلك عمدت روسيا الى تصحيح العلاقات وتعزيزها مع بعض الدول الاقليمية الوازنة في المحيط العربي كايران وتركيا واسرائيل، خاصة بعد تسلم الرئيس الحالي فلاديمير بوتين مقاليد الحكم في روسيا، وعلى قاعدة المصالح المتبادلة ايضاً في المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية، حيث بينا من خلال بحثنا طبيعة العلاقات المتينة مع الدول الثلاث المذكورة.

بالانتقال الى العلاقات الروسية السورية، فقد تميزت بأنها الاقوى ما بين روسيا ودول المنطقة منذ عقود واستمرت حتى مع انهيار الاتحاد السوفياتي، بالرغم من تراجعها قليلاً، الى حين تسلم بوتين الحكم، حيث عمد الى رفع مستوى العلاقات بين البلدين الى المستوى الاقصى لها منذ نشأة تلك العلاقات، خاصة مع اندلاع الأزمة السورية وتدخل روسيا عسكريا" فيها.

لقد ظل الروس ينسجون ويطورون علاقاتهم مع سوريا، دون أي تأثير سلبي لذلك على علاقاتهم مع بقية الدول العربية، إلا أن اندلاع الأزمة السورية وتدخل روسيا مباشرة فيها وخاصة عسكرياً، وضع علاقاتها مع الدول العربية على المحك وأثر مباشرة عليها، خاصة الكبرى منها كالعربية السعودية ومصر وليبيا، فإذا كان الملف الليبي قد شكل درساً بارزاً للقيادة الروسية، وعندما اندلعت الازمة السورية، كانت ليبيا لاتزال تعاني من الانحطاط والتفكك في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية

والعسكرية، ولم يكن للتدخل الروسي في سوريا أي اثر معاكس على علاقاتها مع الدولة الليبية المنهارة، الا أن الوضع بدا مختلفا" جدا" بالنسبة للعلاقة مع كل من مصر والمملكة العربية السعودية.

لقد وقفت مصر على الحياد حيال الأزمة السورية ودعت الى احترام الشرعية والحفاظ على مؤسسات النظام القائم، وذلك الى حين وصول الاخوان المسلمين الى سدة الحكم في مصر والذين اعلنوا صراحة وقوفهم الى جانب المعارضة السورية، ليستلم بعدهم وزير الدفاع وقائد الجيش المصري السابق اللواء عبد الفتاح السيسي، رئاسة جمهورية مصر العربية، ويعود ليعلن موقفا" واضحا" معتدلا" يدعو الى حل سياسي والى الوقوف الى جانب الجيش السوري والحفاظ على مؤسسات الدولة، دون أي انعكاس للأزمة والتدخل الروسي فيها على علاقات مصر بروسيا، إلا أن الأمر كان مغايرا" جدا" بالنسبة للعلاقات الروسية السعودية التي باتت مهددة بشكل كبير بعد التدخل الروسي المباشر في الأزمة السورية، وحاولت السعودية الضغط بكافة الوسائل المتاحة في علاقاتها مع روسيا لثنيها عن دعم النظام السوري الحاكم، إلا ان الحنكة الروسية مجددا" وسياسة التوازنات في العلاقات الدولية المعتمدة من قبل القيادة الروسية افضت الى المحافظة على تلك العلاقات مع السعودية واستمرار الوقوف الى جانب النظام السوري الحاكم.

لقد ساعد التدخل الروسي المباشر في الأزمة السورية على الحفاظ على النظام السوري الحاكم، وتثبيت دعائمه، وبالتالي الحفاظ على علاقات متينة واقوى من ذي قبل بين البلدين، مع ما يتخلل هذه العلاقة من مصالح متبادلة بين الطرفين، فروسيا ستستفيد الى اقصى الحدود من هذه العلاقة في شتى المجالات السياسية والعسكرية والاستراتيجية لتثبيت حضورها على شواطئ المتوسط، وكذلك اقتصاديا" من خلال فتح السوق السورية بشكل اكبر امام المنتجات الروسية والاستثمارات وبخاصة في مجالات الطاقة، ومن جهة أخرى فإن سوريا ستستفيد ايضا" من الدعم الروسي في مجال الانماء واعادة الاعمار والتسليح واعادة بناء الاقتصاد السوري من خلال الاستثمارات الروسية في سوريا، اضافة الى فتح الاسواق الروسية امام المنتجات السورية، وزيادة الصادرات السورية الى روسيا ودعم العملة السورية.

يمكن القول بأن العلاقة بين البلدين ستتعدى مسألة المصالح المتبادلة، لتصنف ضمن خانة العلاقة الاستراتيجية، خاصة بعد التدخل العسكري الروسي المباشر في الأزمة السورية، والجهد العسكري والديبلوماسي الكبير الذي قدمته روسيا للحفاظ على النظام الحالي، بحيث بات من الممكن تشبيه

سوريا بأنها الطفل المدلل لروسيا في الشرق الاوسط، أو انها إحدى اقاليم الاتحاد الروسي، وأن روسيا باتت مسؤولة عن امنها واستقرارها واعادة نموها بشكل ثابت ونهائي وحاسم.

اذا كان انهيار جدار برلين قد اسقط الاتحاد السوفياتي، وغيب روسيا عن مسرح العلاقات الدولية والقوى الدولية الوازنة، فأية جدران سترفع ومع من؟ بالتزامن مع عودة الروس الى المسرح الدولي وبقوة وحكمة وفاعلية من خلال التدخل المباشر في الأزمة السورية، وفرض نفسها كلاعب اساسي وفاعل في رسم معالم مستقبل المنطقة.

سوف تحدد الأزمة السورية الراهنة ايضا" ملامح النظام العالمي وشكله، خاصة أنها أزمة تحول بارز في توازنات القوى الدولية الفاعلة، من خلال صعود وحدات دولية فاعلة ابرزها روسيا في مواجهة التصميم الاميركي والغربي على المضي قدما" في عملية التغيير السياسي في سوريا، ولقد أكد ذلك الصعود، رصد نوع من التغيير في المؤسسات الدولية، اذ ساهمت روسيا في اعادة الاعتبار لمجلس الامن من خلال استخدام حق النقض الفيتو في موضوع الأزمة السورية أكثر من مرة، ويتوجب على الولايات المتحدة وأوروبا الاعتراف بأن النظام العالمي بدأ بالتحوّل، فروسيا ليست، ولن تكون، جزءاً من الغرب، لكنها ترى نفسها أنها قوة استقرار، وتُقدِّم التقاليد والقواعد الإجرائية على العاطفة والإيديولوجيا.

واخيراً، نحن نعتقد أنه من خلال الدور الروسي في الأزمة السورية سيتمحور شكل البنيان الدولي القادم انطلاقا" من التفاعلات الدولية التي رافقت الأزمة السورية وسيأخذ شكل البنيان الدولي القادم مرحلة التحول الى القطبية الثنائية، فهل ستتكون من القطب الروسي الصيني في مواجهة القطب الاميركي الأوروبي؟

لائحة المصادر والمراجع

اولاً: الكتب

١- التكريتي، هاشم، مقدمة في تاريخ روسيا الحديث، دار صفحات، دمشق، ٢٠١٥.

٢- كليب، سامي، الاسد بين الرحيل والتدمير الممنهج، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٦.

٣- اسكندر، مروان، الدب ينقلب نمرا" روسيا الولادة الجديدة، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت ٢٠١١.

٤- الامارة، لمى، الاستراتيجية الروسية بعد الحرب الباردة وانعكاساتها على المنطقة العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩.

٥- خولي، معمر، العلاقات التركية الروسية من ارث الماضي الى آفاق المستقبل، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٤.

٦- النائلي، عناد، روسيا الاتحادية ومستقبل التوازن الاستراتيجي العالمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٧.

٧- الصباح، عبد الله،الصعود الاستراتيجي لروسيا الاتحادية وأثره على التوازنات الدولية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٧.

٨- كليب، سامي، الاسد بين الرحيل والتدمير الممنهج، دار الفارابي، بيروت، ٢٠١٦.

٩- قلعجية، وسيم، روسيا الاوراسية زمن الرئيس فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ٢٠١٦.

١٠- زبيغنيو بريجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى، الاولوية الاميركية ومتطلباتها الجيواستراتيجية، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩.

١١- منصور، ممدوح، الصراع الاميركي السوفياتي في الشرق الاوسط، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٥.

١٢- اسكندر، مروان، الدب ينقلب نمرا"، روسيا الولادة الجديدة، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، ٢٠١١.

١٣- نعمة، كاظم، روسيا والشرق الاوسط بعد الحرب الباردة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، ٢٠١٦.

١٤- مجموعة مؤلفين، التداعيات الجيوستراتيجية للثورات العربية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ٢٠١٤

١٥- غريب، ناتاليا، امبراطور الغاز، مكتبة مدبولي، القاهرة،٢٠١١.

١٦- سري الدين، عايدة، البوابة السورية والعودة الروسية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٦.

١٧- سيد حسين، احمد، دور القيادة السياسية في اعادة بناء الدولة(روسيا في عهد بوتين)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١٥.

١٨- واكيم، جمال، صراع القوى الكبرى على سوريا(الابعاد الجيوسياسية لأزمة ٢٠١١)،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ،بيروت،٢٠١١.

١٩- زيدان، ناصر، دور روسيا في الشرق الاوسط وشمال افريقيا من بطرس الاكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت،٢٠١٣ .

٢٠- الشيخ، نورهان، صناعة القرار في روسيا والعلاقات الروسية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨.

٢١- زيدان، ناصر، دور روسيا في الشرق الاوسط وشمال افريقيا من بطرس الاكبر حتى فلاديمير بوتين، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٣.

ثانياً: مراجع اجنبية

1. NN, Novishkov, Russian weapons used in Syrian conflict, jsc status, Moscow, 2017.
2. Mankov, Jeffery, Russian foreign policy-the return of great power politics, roman and little field publishers, 2011.
3. Kanet, roger, Russian foreign policy in the 21st century, Palgrave Macmillan, New York 2010.
4. Simons, terry, CIA, Syrian intelligence, Russian svr, competition for Syria and the post Assad geopolitical contiguous, lambert academy publishing, New York 2014.
5. Power, brad, ISIS, Putin special forces in Syria, lambert, New York, 2010.
6. Putin's Syrian Gambit: Sharper Elbows, Bigger Footprint, Stickier Wicket, john parker, center of strategic research-national defence university, New York, 2017.

ثالثاً: اطروحات ورسائل جامعية

١- سيف الدين، محمد، اطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في العلاقات الدولية بعنوان" الاستراتيجية الجديدة للأمن الروسي وانعكاساتها على العلاقات الدولية.

٢- اللقيس، عماد، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلاقات الدولية بعنوان "التدخل الاطلسي في ليبيا وتفاعلاته الداخلية والدولية.

٣- مكي، عبد المنعم، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا في العلاقات الدولية بعنوان "التوافق الاستراتيجي الروسي الصيني في مواجهة الولايات المتحدة في الشرق الاوسط".

رابعاً: الصحف والدوريات

١- عبد القادر، نزار، مقال بعنوان" روسيا والأزمة السورية: مصالح جيو – استراتيجية وتعقيدات مع الغرب"، مجلة الدفاع الوطني اللبنانية، العدد ٨٤ – نيسان ٢٠١٣ .

٢- طاهر، احمد، مقال بعنوان" دوافع الوجود الروسي ومحدداته في مياه المتوسط"، مجلة السياسة الدولية، تاريخ ٢٣/٣/٢٠١٧.

٣- مقال بعنوان" الوجود العسكري الروسي في سوريا"، مجلة "الامن والدفاع العربي" بتاريخ ٢٠١٧/١١/٢٥ .

٤- سلامة، معتز، مقال بعنوان" مستقبل العلاقات العربية – الروسية"، مجلة السياسة الدولية، العدد ٢٠٣.

٥- دياب، احمد، مقال بعنوان" روسيا وتركيا، عبئ التاريخ وحافز الاقتصاد"، جريدة الحياة بتاريخ١٣/١/٢٠١٣.

٦- مقال بعنوان "العلاقات الإيرانية الروسية الراهنة" صحيفة الشرق القطرية، بتاريخ ٢٠١٦/٨/٢٩.

٧- الخوري، جورج، مقال بعنوان: السياسة الخارجية الجديدة لروسيا وتأثيرها على دول الشرق الأوسط ولبنان، مجلة الدفاع الوطني، العدد ١٠٥، تموز ٢٠١٨

خامساً: روابط الكترونية

١- مقال بعنوان : السعودية- روسيا علاقات على قاعدة الخلاف، منشور على موقع الروابط الالكتروني للدراسات والابحاث الاستراتيجية بتاريخ ٩ آذار ٢٠١٦. رابط الدخول:
http://rawabetcenter.com/archives/22155

٢- مقال بعنوان :اول زيارة لزعيم روسي الى ليبيا في تاريخ العلاقات الثنائية، منشور على الموقع الالكتروني RT، بتاريخ ٢٠٠٨/٤/١٦. على الرابط التالي:
https://arabic.rt.com/news/13826-

٣- مقال بعنوان: صادرات السلاح الروسي الى ليبيا، منشور على موقع الجزيرة الالكتروني، بتاريخ ٢٠١١/٣/١٢.على الرابط
http://www.aljazeera.net/news/reportsandinterviews/2011/3/12

٤- مقال بعنوان: ابعاد الموقف الروسي الداعم لسوريا، منشور على موقع تحولات الالكتروني، للكاتب رياض عيد، بتاريخ ٢/١٠/٢٠١٢. على الرابط التالي:
http://www.tahawolat.net/MagazineArticleDetails.aspx?Id=266

٥- مقال بعنوان : نبذة عن تاريخ العلاقات الروسية المصرية، منشور على موقع انباء روسيا الالكتروني على شبكة الانترنت، تاريخ ٨/١١/٢٠١٣، على الرابط:
/http://www.russiannewsar.com/1367-2

٦- حوار مع رئيس مجلس إدارة المؤسسة المصرية الروسية للثقافة والعلوم، الدكتور حسين الشافعي، حول رؤيته عن مستقبل العلاقات المصرية الروسية وأسباب بطء تطورها، الموقع الالكتروني لشبكة سبوتنيك الروسية باللغة العربية، تاريخ ٤/٤/٢٠١٦. على الرابط:
https://www.skynewsarabia.com/middle-east

٧- مقال بعنوان: سورية وروسيا تاريخ من العلاقات من ١٩٤٦ إلى ٢٠١٢، منشور على موقع global research الالكتروني، بتاريخ ٢٥ حزيران ٢٠١٢.على الرابط:
https://www.globalresearch.ca/1605-1575-1578-1593-1606/31931

٨- مقال بعنوان: موسكو تضمن عدم وصول أسلحة روسية الى حزب الله ، منشور على موقع internet 24 news الالكتروني، بتاريخ ٧/٢/٢٠١٧ . الرابط:
https://www.i24news.tv/ar/%D8%A3%D8%AE%D8%A8%D8%A7%D8%B1/middle-east/137181-

٩- حسين، خليل، مقال بعنوان براغماتية السياسة الروسية في المنطقة، بيروت: ١٥/٧/٢٠١٦

١٠- : https://www.al-sharq.com/opinion/29/08/2016/%D8.

١١- مقال بعنوان " طرطوس السورية، اول مركز للاسطول الروسي في المتوسط" منشور بتاريخ ١٢-١٠-٢٠٠٨ على موقع <www.syriahr.com

١٢- ترينن، ديمتري، مقال بعنوان" التحالف الافتراضي :السياسة الروسية تجاه سوريا"، منشور على الموقع الالكتروني لمركز كارنيغي للشرق الأوسط، على الرابط التالي:

http://carnegieendowment.org

١٣- مقال للرئيس الروسي عن الأزمة السورية في جريدة نيويورك تايمز، منشور على موقع وكالة معا" الاخبارية الالكتروني، بتاريخ ٢٠١٣/٩/١٤

١٤- على الرابط التالي: http://www.maannews.net/Content.aspx?id=629708

١٥- مقال بعنوان "المصالح الروسية في الشرق الأوسط"، منشور على موقع روسيا اليوم على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٠١٤/٦/١١.

١٦- مقال بعنوان" مجلس الدوما الروسي يوافق على توسعة قاعدة طرطوس"، منشور على موقع سبوتنيك الالكتروني على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٠١٧/١٢/٢١، على الرابط التالي:
https://arabic.sputniknews.com/arab_world/201712211028628795-

١٧- مقال بعنوان" الوجود العسكري الروسي في سوريا" منشور على موقع "الامن والدفاع العربي" على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٠١٧/١١/٢٥ ، وعلى الرابط التالي:
http://sdarabia.com/?p=54459

١٨- محمود، ايمان، مقال بعنوان "أبرز محطات التدخل الروسي العسكري في سوريا"،منشور على موقع مصراوي دوت كوم على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٠١٧/١٢/١٢، على الرابط التالي:
www.masrawy.com

١٩- تقرير بعنوان:" الوجود العسكري الروسي في سوريا.. حجمه وأماكن انتشاره وخسائره"، منشور على موقع أنا برس على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٠١٧/٥/٢٤، على الرابط التالي:
http://www.anapress.net/ar/articles/%D8%AA%D9%82%

٢٠- تقرير بعنوان:" الوجود العسكري الروسي في سوريا.. حجمه وأماكن انتشاره وخسائره"، منشور على موقع أنا برس على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٠١٧/٥/٢٤، على الرابط التالي:
http://www.anapress.net/ar/articles/%D8%AA%D9%82%

٢١- عيد، رياض، مقال بعنوان" ابعاد الموقف الروسي الداعم لسوريا"، منشور على موقع تحولات الالكتروني، بتاريخ ٢٠١٢/١٠/٢، وعلى الرابط التالي:
http://www.tahawolat.net/MagazineArticleDetails.aspx?Id=266

٢٢- المرهون، عبد الجليل، مقال بعنوان" قصة العلاقات الروسية السورية"، منشور على موقع الجزيرة الالكتروني، بتاريخ ٤شباط ٢٠١٤، وعلى الرابط التالي:
http://www.aljazeera.net/home/print/6c87b8ad-70ec

٢٣- البني،اكرم، مقال بعنوان"سوريا وحميمة التفاهم الروسي الاميركي"، منشور على موقع الجزيرة نت الالكتروني، بتاريخ ٢٠١٣/٢/٥، على الرابط التالي:
http://www.aljazeera.net/home/print/6c87b8ad-70ec

٢٤- باكير، علي حسين، مقال بعنوان" تقاطعات في أجندة أمريكا وروسيا في سوريا"، منشور على موقع السورية نت الالكتروني، بتاريخ ٢٠١٥/١٠/٢١، على الرابط:
https://www.alsouria.net/content/%D8%AA%D9%82%D8%A7%D8%B7%

٢٥- مقال بعنوان التحالف الافتراضي، السياسة الروسية تجاه سوريا، منشور على موقع مركز كارنيغي للشرق الاوسط، بتاريخ ٢٠١٣/٤/١٥. على الرابط:

https://carnegie-mec.org/2013/04/15/ar-pub-51496

٢٦- تقرير بعنوان" وزارة الخارجية الروسية تدعو المصرفيين الروس الى التعاون مع سوريا"، منشور على موقع سبوتنيك على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٠١٨/٢/٢ ، على الرابط التالي:
https://arabic.sputniknews.com/world/201802261030355093- /

٢٧- تقرير بعنوان" الشركات الروسية في معرض دمشق الدولي"، منشور على موقع سبوتنيك على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٠١٧/٨/٢١، على الرابط التالي:
https://arabic.sputniknews.com/arab_world/201708211025747842-/

٢٨- تقرير منشور على موقع "اورينت نت" الالكتروني على شبكة الانترنت، بعنوان" التواجد العسكري الروسي في سوريا"، بتاريخ ٢٠١٦/١٠/١١ ، على الرابط التالي: www.orient-news.net.com

٢٩- مقال بعنوان "المصالح الروسية في الشرق الأوسط"، منشور على موقع روسيا اليوم على شبكة الانترنت، بتاريخ ٢٠١٤/٦/١١.

٣٠- قرارات مجلس الامن في العام ٢٠١١، منشورة على الموقع الالكتروني لمجلس الامن، على الرابط التالي:

http://www.un.org/ar/sc/documents/resolutions/2011.shtml

٣١- الخطيب، لينا، مقال بعنوان الانتخابات الرئاسية السورية نقطة المراوحة، الموقع الالكتروني لمركز كارنيغي للشرق الاوسط، بتاريخ ٥ حزيران ٢٠١٤، على الرابط التالي:
https://carnegie-mec.org/events/4450

الفهرست

مقدمة ١
أهمية البحث: ٢
إشكالية البحث:..... ٣
فرضية البحث: ٣
منهج البحث:..... ٣
مخطط البحث ٣
الفصل الأول العلاقات الروسية–العربية والروسية الشرق أوسطية..... ٥
المبحث الأول: العلاقات الروسية العربية ٦
الفقرة الاولى: العلاقات الروسية السعودية..... ٨
الفقرة الثانية: العلاقات الروسية الليبية ١١
الفقرة الثالثة: العلاقات الروسية المصرية..... ١٥
المبحث الثاني: العلاقات الروسية مع بعض دول الاقليم (تركيا، ايران، اسرائيل)..... ٢٠
الفقرة الأولى: العلاقات الروسية الاسرائيلية..... ٢٠
الفقرة الثانية: العلاقات الروسية الايرانية ٢٥
الفقرة الثالثة: العلاقات الروسية التركية..... ٣٠
الفقرة الرابعة: مستقبل العلاقات الروسية العربية ٣٤
المبحث الثالث: العلاقات الروسية السورية..... ٣٦
الفقرة الاولى: المصالح الاستراتيجية الروسية في سوريا ٣٦
الفقرة الثانية: نبذة عن تاريخ العلاقات السوفياتية السورية ٣٩
الفقرة الثالثة: العلاقات الروسية السورية بعد انهيار الاتحاد السوفياتي ٤١

الفقرة الرابعة: السياسة الخارجية الروسية تجاه سوريا بعد أزمة عام ٢٠١١ ..... ٤٦
الفقرة الخامسة: العوامل المسببة للموقف الروسي من سوريا ٤٩
الفقرة السادسة: أثر السياسة الخارجية الروسية تجاه سوريا وانعكاساتها على التنمية السياسية فيها . ٥٣
الفصل الثاني التدخل العسكري الروسي المباشر في الازمة السورية والقضايا الدولية المرتبطة ٥٦
المبحث الأول: واقع وخلفيات التدخل ٥٨
الفقرة الاولى: واقع وحجم التدخل الروسي في الأزمة السورية ٥٨
الفقرة الثانية: خلفيات التدخل العسكري الروسي المباشر في الازمة السورية ٦٣
المبحث الثاني: القضايا الدولية المرتبطة بالتدخل الروسي المباشر في الأزمة السورية ٦٨
الفقرة الاولى: الأزمة الاوكرانية ٦٨
الفقرة الثانية: الصراع الدولي في المتوسط ٧٢
الفقرة الثالثة: القضية الفلسطينية ٨٠
الفقرة الرابعة: التقاطع الروسي الاميركي في سوريا ٨١
المبحث الثالث: أفق ومستقبل العلاقات الروسية السورية ٨٧
النبذة الاولى: المكتسبات الروسية من العلاقات المتينة مع سوريا ٨٧
الفقرة الاولى: المكتسبات السياسية والاستراتيجية: ٨٧
الفقرة الثانية: المكتسبات الاقتصادية المستقبلية ٩٠
النبذة الثانية: علاقة استراتيجية مستقبلية ٩٣
الفقرة الاولى: شكل وحجم التواجد الروسي المستقبلي في سوريا ٩٣
الفقرة الثانية: متغيرات العلاقات المستقبلية بين البلدين ٩٤
الخاتمة ٩٧
لائحة المصادر والمراجع ١٠٠